تقديم إلى الساحة المقدسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة (الجزء الأول)

أساس الإعراض عن الله

إسماعيل شفيعي سروستاني

التاريخ الثقافى لقبيلة اللعنة (الجزء الأول)
أساس الإعراض عن الله
المؤلف: إسماعيل شفيعي سروستاني
التنقيح: وحدة البحوث بمؤسسة موعود العصر (عج) الثقافية
الناشر: هلال
الطبعة: الثانية، ٢٠١٦
سنة ومكان الإصدار: ٢٠١٥، طهران

كلمة الناشر

الحمد لله الواحد الأحد، وبعد قرابة ثلاثة أعوام من الإنتظار، صُدر في النهاية الجزء الأول من مجموعة قبيلة اللعنة. وهذا العمل الذي يتضمن دراسة جادة حول التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة ومسار تطور فكر وعمل ابليس وأنصاره منذ اليوم الأول وحتى يومنا هذا، يعد أول تجربة علمية وبحثية في هذا الموضوع والذي قدم لحد الان في العالم الإسلامي.

إن الحداثة في الموضوع، واتساع نطاق البحث وتنوع المصادر، وبالتالي اللغة السلسة والمتماسكة للمؤلف والباحث، يجعل هذا العمل بارزا أكثر فاكثر.

وقد صبت دار «هلال للنشر» جل اهتمامها على أن يكتسب كل جزء من هذه المجموعة هوية مستقلة في الموضوع والمفهوم المقدمين، وأن يحافظ على تواصل ذي مغزى مع سائر الأجزاء التي ستصدر تاليا، بحيث أن حصل قارئ ما على جزء واحد فحسب من هذه المجموعة، ولم يقدر على الحصول على سائر الأجزاء، أن يستفيد من حصيلة وثمرة الدراسة وانطباعات الباحث الموقر.

وعلى الرغم من أنه كان يمكن لهذه المجموعة، أن ترفق بمجموعة ملحوظة من الصور والتصاميم المتعلقة باي من العناوين الرئيسية للفصول، لكن ضرورة تقديمها السريع وخفض نفقات الطباعة والنشر، دفع الناشر لعرضها في أول دورة من الإصدار، من دون صورة وتصميم، ليوفر بذلك لمتلقيها الرئيسيين أي طلبة

الجامعات وطلبة العلوم الدينية والباحثين وسائر الراغبين، إمكانية شرائها وقرائتها بأدنى قدر من التكاليف.

والمؤمل، أن يتيح هذا العمل، المجال لجميع الباحثين والمهتمين بالموضوعات الثقافية الجادة لمعرفة وتحديد المنعطفات التي مرت بها «قبيلة اللعنة» إن شاء الله.

الفهرس

كلمة الناشر..... ٥

الفصل الأوّل: فجر الخلقة..... ٩

المقدمة..... ١١

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة..... ١١

قصة الخلقة واختلاف الأمم ١٩

إتلُ نبأ ابني آدم!..... ٢٣

دولة الحق، دولة إبليس..... ٢٥

أول مسجد وأول معبد ٢٧

الكعبة، البناء والتقاليد..... ٣١

المواقع المقدسة ٣٧

الكعبة بعد آدم(ع) ٤١

الكعبة منذ عصر النبي نوح(ع) حتى عصر النبي ابراهيم(ع)..... ٤٣

زعيم الظلام، المُستنسِخ المكّار ٤٥

المعبد بدلا من المسجد (أول بيت للنار المقدسة، أول معبد) ٤٨

ديمومة ذرية آدم(ع) وسلالة الأنبياء ٥٢

الأمة الواحدة ٥٥

بداية إنزال الشرائع ٥٧
الحجر الأساس الأول لقبيلة اللعنة ٦٣
البلاء، سلم الكمال ٦٥
العلم اللازم والعمل اللازم ٦٧
السؤال والعبادة، كامنان في ذات الانسان ٧٠
الأرض لا تخلو من الحجة ٧٥
أسباب انحطاط الثقافات والحضارات ٧٩
الفصل الثاني: رؤية جديدة تجاه مصير الحضارات العريقة ٨٣
مقدمة ٨٥
حضارات ضفاف النيل وبين النهرين ٨٧
العصر القديم والعوالم الماورائية ٩٢
تاريخ وحضارة ايران القديمة..... ١٠٩
السحر في ايران القديمة ١١٢
حضارة مصر القديمة، السحر والعلوم الغريبة ١٢١
تقسيم تاريخ مصر ١٢٣
معتقدات مصر الدينية ١٢٥
كهنة السحر والمحافل السرية ١٣٢
الحصيلة ١٤٣
مقارنة الحوادث المهمة للشرق واليونان ١٤٥
ثبت المصادر والمراجع ١٤٩

الفصل الأوّل

فجر الخلقة

المقدمة

التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة

الحمد لله رب العالمين، والتوسل إلى الساحة المقدسة لحضرة رحمة للعالمين محمد بن عبد الله ﷺ. إن الحجر الأساس لهذا العمل الذي عنوانه «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» وضع عندما، كان كتاب «التاريخ الثقافي لقبيلة الرحمة»[1] يسلك مراحل كماله. وقد استند المؤلف في ذلك الكتاب إلى المصادر الروائية لاسيما «دعاء الندبة» ليبين المنعطفات التي مرت بها سلسلة الأنبياء والأوصياء الإلهيين وكذلك المنعطفات التي نمر بها حتى نصل إلى اخر محطة، أي تأسيس الدولة الكريمة الطيبة بوصفها آخر حلقة من سلسلة الأولياء والأوصياء الإلهيين. محطة مقدسة وُعد بها وبوركت، وتنطوي في ذاتها على جميع شؤون واعتبار الحكومة الحقة والعالمية للمستضعفين، بحيث أن الله تعالى وعد بتحقيقها في كتابه المبين حيث قال:

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»[2]

---

١. وهذا الكتاب صدر عن إصدارات موعود العصر عجل الله فرجه.

٢. سورة القصص، الآية ٥. وقال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: «**إن هؤلاء هم آل محمد** ﷺ. **إن الله يرسل مهديهم بعد ما تكبدوا من عناء وضغوط ويعزهم ويذل أعداءهم.**»، «التفسير النموذجي»، جمع من الكتاب، ج ١٦، ص ١٨، نقلا عن «تفسير نور الثقلين»، ج ٤، ص ١١٠.

ويبدو أنه بمحاذاة سير وسفر «قبيلة الرحمة» على امتداد التاريخ، فان «قبيلة اللعنة» مضت قدما كتفا بكتف لتؤدي دورها.

إن عنوان «قبيلة اللعنة» هو عنوان عام ينطوي في حد ذاته على مجمل معنى ومفهوم «ائمة الكفر»، ويطلق على جميع الكافرين الذين يدعون الاخرين إلى الكفر والشرك ويمهدون لضلال أبناء آدم. وبما أن **ابليس** اللعين، هو كبير ومؤسس هذه القبيلة وهو راعيها وحاميها، لذلك أطلق على هذه القبيلة واتباعها مثل «بنو اسرائيل» اسم «قبيلة اللعنة»

وقد جاء «القرآن الكريم» على ذكر هذه القبيلة بأسماء وتعابير مختلفة بما فيها المستكبرون (سورة سبأ، الآيتان ٣٣-٣٤) وأئمة يدعون إلى النار (سورة القصص، الآية ٤١) وكل أولئك الذين يرتبطون بشكل ما بائمة الكفر وقبيلة اللعنة.

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ»[١]

واستنادا إلى القرآن الكريم، فان هذه القبيلة وتابعيها، لا يُنصرون من قبل أي شفيع: **«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ»**،[٢] وبما أن الاخرين يتبعونهم في الكفر والمعاصي، فانهم يُحمّلون دوما عبء ذنوب مثل ذنوب أنصارهم، ولذلك ومع استمرار الكفر والمعاصي، فان اللعنة الأبدية ستطالهم.

«وَأُتْبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ»[٣]

وهذه الطائفة أدت إلى إستضعاف وخداع الناس، بحيث أنها حرفتهم بمجملهم عن صراط الحق وجعلتهم يقاسون في الدنيا والاخرة من التعاسة والخسران.

«وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الاَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا

١. سورة القصص، الآية ٤١.
٢. المصدر السابق.
٣. سورة القصص، الآية ٤٢.

كَانُوا يَعْمَلُونَ»[١]

وفي تقلبات وهبوط وصعود التاريخ، فان أئمة الكفر والضلال، هم الذين يصطفون في مواجهة أئمة الدين وقبيلة الرحمة، وبالرغم من الموقع الزماني والمكاني المختلف، فان كلهم، ستكون لهم روح وروحية ثابتة وبالتالي عاقبة ثابتة أيضا.

وأول شخص من بين جل الكائنات الانسية والجنية، المتصف بصفة «المستكبر» وبالتالي يستحق اللعنة الإلهية الأبدية، هو **إبليس**، بحيث أن الله تعالى قال بشأنه في القرآن الكريم:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»[٢]

وعلى أثر هذا الإستكبار، كان جليا أن يطرد ابليس من رحمة الله ويصبح رجيما ولعينا إلى الابد.

«قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»[٣]

وبعد إبليس، يقدم القرآن جميع الذين ينقضون عهد الله المتعال ويفسدون في الأرض ويمهدون لضلال الناس، على أنهم من الذين لا ينالون رحمة الله، ويعتبرهم من الملعونين، بحيث قال تعالى:

«وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ ميثَاقِه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الاَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»[٤]

وفي الثقافة القرآنية، فان الذين يعرضون عمدا عن الحقائق الواضحة ويتنكرون لها بعدما تبين لهم البينات والهدى، فانهم سيكونون ممن تنالهم لعنة الله.

---

١. سورة القصص، الآية ٣٣.
٢. سورة البقرة، الآية ٣٤.
٣. سورة ص، الآيتان ٧٧-٨٧.
٤. سورة الرعد، الآية ٢٥.

«إِنَّ الَّذِيـــنَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مـــنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ»[١]

وفي الحقيقة، فان هذه الجماعة، وبعد اطلاعها على الحقائق وإتمام الحجة عليها من قبل الأنبياء الإلهيين والحجج السماويين، وبعد مشاهدة أدلة وحجج الكتب السماوية مارست العناد وتصدت لإرادة الباري تعالى، وأبدعت الفساد والضياع والضلال بين الناس وعلى امتداد الأرض، لذلك إستحقت اللعنة وابتعدت بذلك عن رحمة الله.

ويصنف الباري تعالى الفئات الثلاث «الكفار» و «المشركين» و «المنافقين ومن يؤذون الله ورسوله» في خانة الملعونين. وفي هذه الأثناء هناك مجموعات وأصناف مختلفة من الناس، يمهد التعرف عليهم وتحديدهم، تجربة وتحديد سائر مصاديق الملعونين المنتشرين على مدى القرون والأعصار.

إن إبليس وفرعون و«اليهود» و «بني اسرائيل» و«أصحاب السبت»،[٢]

---

١. سورة البقرة، الآية ١٥٩

٢. كانت جماعة من طائفة بني اسرائيل في عصر النبي داود عليه السلام تعيش بالقرب من ساحل «البحر الأحمر» في ميناء «أيلة» («تفسير الكشاف»، ج ١، ص ٣٥٥) وكان عليهم أن يتبعوا مذهب ابائهم واجدادهم وأن يتفرغوا يوم السبت لعبادة ربهم، وكانوا وفقا لدينهم، يحرمون الصيد يوم السبت. وسبب حرمة الصيد في يوم السبت بالنسبة لليهود يعود إلى أن الله تعالى طلب من اليهود بواسطة النبي موسى عليه السلام أن يكرموا ويعظموا يوم الجمعة، وأن يعرضوا في هذا اليوم عن الامور المادية والدنيوية ويهتموا بالأمور المعنوية والأخروية. لكن اليهود تمردوا على هذا الأمر الإلهي واختاروا الجمعة للعمل والسبت كعطلة، وكانوا يعتبرون السبت أعظم الايام. وبناء على ذلك، فان القهر والغضب الإلهي طالهم وحرم عليهم الصيد يوم السبت. («بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣، ج ١٤، ص ٤٩).

وكان السمك يشكل السلعة الإستراتيجية لهذه المدينة، وكان معظم سكانها يقتاتون على صيد الأسماك. وبما أن الله أراد اختبارهم وابتلائهم، فاختبرهم بان تأتي أسماك البحر يوم السبت الذي كان يوم الأمان بأمر وإرادة من الله إلى شاطئ البحر وتملأ سطح الماء بحيث كان بوسع الصيادين صيد عدد كبير من الأسماك في فترة زمنية قصيرة وباقل جهد، لكن الأيام الاخرى لم تكن آمنة للأسماك وكانت تبتعد عن ساحل البحر وتغوص في أعماقه، بحيث كان يصعب صيدها: «**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**» (سورة الأعراف، الآية ١٦٣).

لكن دافع الجشع والطمع تحرك لديهم وأذكى دأب النهم لدى مذنبي هذه القرية وغفلوا عن أوامر أنبيائهم. ونسوا ما كانوا قد سمعوه وأخذوا يتبادلون الرأي ووجهات النظر وقالوا: لماذا نترك الأسماك في اليوم الذي تظهر فيه بكثرة على سطح الماء وتهرع بأنفسها إلينا، ونصطادها في اليوم التالي الذي تهرب منا؟! ولذلك فقد احتالوا الحيل ليحللوا ما حرم الله عليهم، وصنعوا أحواضا وبركا بجانب البحر ليتمكنوا من جمع الأسماك في القنوات والأنهر

و«ناكثي العهد» و«الشجرة الملعونة»[1] و«المنافقين» و«أصحاب الجحيم» والمفسدين في الأرض وبعض آخر من الناس، منخرطون في زمرة الملعونين، ونزلت العديد من الآيات بشأنهم.

«أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»[2]

وكأن التيارين الرئيسيين المتمثلين في «قبيلة الرحمة» و «قبيلة اللعنة» كانا ساريان في الكون والوجود طوال التاريخ ومنذ خلق **آدم أبي البشر** عليه السلام، وسيستمران حتى تأسيس الدولة المهدوية الكريمة، وبغير هذين، فان باقي الطوائف، مشت على الأرض في ظل انتقاء ودمج تعاليم وسيرة وسنة أهالي هاتين القبيلتين. وثمة مصاديق متعددة للثقافات والحضارات السابقة واللاحقة، كل منها، يعرض

الصغيرة المتعددة التي تصب في البحر. فانقسم أهل القرية إلى ثلاث فرق:

١. إنضم معظم أهل القرية إلى أصحاب البدعة والمحتالين وتعاونوا وتماشوا معهم؛

٢. وكان ثمة من المؤمنين الذين ترسخ الإيمان في أعماق قلوبهم؛

٣. وثمة من لم يكن لهم موقف والتزموا الحياد.

والفئة الاولى التي كان يزداد عددها يوما بعد يوم، وقفت بوجه الناهين عن المنكر، واعتبرت مكرها ابتكارا وابتداعا وعملا جميلا، وقالت تبريرا لما تقترفه: إننا أطعنا أمر الله ولا نصطاد يوم السبت بل نصطاد في يوم الأحد. («تفسير البرهان»، ج ٢، ص ٤٢)، وبهذا لم تؤثر نصائح الفرقة المؤمنة عليهم وقررت هذه الفرقة بالتالي الهجرة حتى لا يطالها عذاب الله. وفي ليلة الهجرة نزل العذاب الإلهي على الآثمين العاصين: **«فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ»** وفي أعقاب هذا الأمر تحول جميع من تبقى في القرية، إلى قردة خاسئين («بحار الأنوار»، ص ٥٦، الرواية ١٣). وأغلقت بوابة قريتهم ولم يكن باستطاعة أحد الخروج منها. ومع سماع هذا الخبر، توافد سكان المدن والقرى الأخرى على هذه القرية، وتفرجوا من على أسوارها، الرجال والنساء المخادعين الذين تحولوا إلى قردة.

وقرر الوعاظ الذين هجروا القرية، العودة إليها. وتوجهوا إلى القردة الذين كانوا يشبهونهم وأصدقائهم وسألوهم: هل أنت فلان؟ وأومأ القرد الذي سئل مصدقا برأسه فيما كان الدمع ينهمر من عينيه. وأرسل الله تعالى بعد ثلاثة أيام، الرياح والأمطار العاتية التي أهلكت الجميع ولم يبق أحد ممن مسخوا في تلك القرية. («أصحاب السبت»، عاشوري، زهراء، نامة جامعة، مرداد ١٣٨٥، العدد ٣٢، ص ٤٨، بتصرف وتلخيص).

١. وقد أرى الله تعالى، في عالم الرؤيا لنبيه صلى الله عليه وآله الشجرة الملعونة (القوم الملعونون والذين يؤذون النبي وأهل بيته) وجزء من أفعالهم وعندها بيّن لهم بان هذه فتنة. **«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ»** واستنادا إلى الكثير من الروايات التي رواها أهل السنة، وكذلك جميع الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيت عليهم السلام، فان المراد من الرؤيا في هذه الآية، هي الرؤيا التي رآها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حول بني أمية وأن الشجرة الملعونة هي هذه السلالة والسلسلة. («تفسير الميزان»، ج ١٣، صص ١٣٨-١٤٠، توضيحا لآيتي سورة الأعراف ١٦٢ و ١٦٦؛ وسورة الإسراء، الآية ٦٠).

٢. سورة البقرة، الآية ١٥٩.

أوجها من التوجهات والإنطباعات والسنن والتقاليد الرحمانية أو الشيطانية لهاتين الطائفتين.

والمؤسف أن اتساع نطاق وعمق الإنتقائية والإندماج في هذه المجالات الثقافية والحضارية، ضيق الخناق على إمكانية التعرف على مدى اختلاط كل من المستويات الثقافية والمادية للأمم وعلاقاتها وتعاملاتها مع هذين التيارين المتجذرين الرحماني والشيطاني. ولذلك، يبدو من الصعوبة بمكان التشخيص الشامل للمواقع والتناسب العملي والنظري لسكان الأرض مع المظاهر التامة للرحمة أو اللعنة لعامة الناس، ولابد لعامة سكان الشرق والغرب، أن يواصلوا رحلتهم المحفوفة بالمخاطر على مدار الظن في مشهد التاريخ.

ولا شك أنه في وقت الغربلة الكبرى للوقائع والحوادث المستقبلية وما بعدها في وقت الظهور الأكبر للإمام المبين عجل الله فرجه الشريف، تحدث إصطفافات دقيقة بين سكان الأرض وكل فئة تنضم إلى المجتمع الذي تنتمي إليه، إلى أن تقوم الدولة الكريمة الموعودة المنزهة عن أي بدع وهرطقات وإعوجاجات.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن إجراءات الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فقال عليه السلام:

«يَصْنَعُ ما صَنعَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله يَهْدمُ ما كانَ قَبْلَهُ كَما هَدمَ رَسولُ الله صلى الله عليه وآله أمْرَ الجَاهليَّة ويَسْتأنفُ الإسْلَامَ جَديداً.»[1]

إن هذا الكتاب القائم على إنطباعات وتوجهات الأديان التوحيدية تجاه العالم والانسان والتاريخ، بصدد الإعلان عن أن:

أولا: إن خلق الكون قائم على أساس علم وحكمة الخالق المتعال، وأن الانسان بوصفه أشرف الكائنات، قد خلق بهدف الوصول إلى مقصود ووجهة نبيلة وسامية؛

ثانيا: إن أول انسان أي النبي **آدم ابو البشر** عليه السلام (نعوذ بالله) لم يخلق جاهلا ومليئا بالخرافة والجهل، بل أنه بدأ رحلته في التاريخ بعلم واختيار كافيين وبأعتباره

١. «بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

حجة الله؛

ثالثا: إن ما حدث لأبناء وأحفاد وأجيال أول انسان على امتداد الثقافات والحضارات وأدى إلى إنحرافهم عن الصراط المستقيم لحضرة الحق (زاخر بالعلم والحكمة ومنزه عن الجهل والخرافة)، هو حصيلة عمل الشيطان وحقده على الإنسان وموقعه ومقامه.

رابعا: إن التفاسير والتحليلات التي قدمها المؤرخون حول الثقافات والحضارات القديمة، هي نتيجة عدم إطلاعهم وغفلتهم عن وجود القوى الماورائية للشياطين الجنية والعلوم الغريبة التي كانت كافة الحضارات والثقافات على علم واطلاع عليها وأصيبت بها.

إن هذه الكائنات المتمردة والحاقدة وانشغال الأمم بالعلوم والفنون المرتبطة بها، أدى إلى إبتعاد وانفصال الثقافات والحضارات عن قبيلة الرحمة (سلالة الأنبياء والأوصياء الإلهيين) وأقحمهم في زمرة قبيلة الملعونين؛

خامسا: وبالتالي فان السلسلة الطويلة لقبيلة اللعنة، استمرت منذ أن جعلها وأبدعها إبليس الرجيم ولحد يومنا هذا، وتسببت في تشكل ونشأة مجموعة «المحافل الخفية والسرية» (أكانت الماسونية أو الإيلومياتية و...).

إن هذه المحافل ورثت جملة تعاليم وتجارب وانطباعات أجدادها، لتتأسى بأول مطرود ورجيم (إبليس وأنصاره بين الشياطين)، وتدخل في مواجهة دائمة مع مختاري قبيلة الرحمة لاسيما حضرة خاتم الأوصياء المهدي الموعود روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وتملأ الأرض ظلمة وعتمة وضياعا، وتقيم عليها الحكم الإستبدادي العالمي.

إن ما تتبناه هذه الرسالة هو:

١. تبيان مبادئ وأسس ومصادر فكر وعمل أهالي قبيلة اللعنة؛

٢. تبيان علم كونيات وعلم عالم معلمي ومروجي توجهات قبيلة اللعنة تجاه الكون والوجود؛

٣. تبيان المنطلق والوجهة النهائية ومسار وطريق هذه القبيلة منذ اليوم الأول وحتى خاتمة المطاف؛

٤. المنعطفات التي مرت وتمر والتالية لهذه القبيلة وحتى الورود إلى الوقت المعلوم الموعود؛

«فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرين إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم»[١]

٥. تبيان مسار التطور التاريخي للمحافل الخفية والأوجه السياسية والإجتماعية لهذه المحافل في الغرب؛

٦. تقديم أشهر المحافل الخفية وصاحبة السلطة المؤثرة في عالم اليوم.

وقد ركز المؤلف جل اهتمامه لتكون جميع المعطيات والتحليلات مستندة ومعتمدة على المصادر والمستندات والمراجع الموثوق بها والقابلة للإعتماد.

وأقدم هذا العمل كله إلى أفضل إنسان وأكثرهم تميزا من قبيلة الرحمة، حضرة محمد بن عبد الله ﷺ، وهو الذي قال الله تعالى بشأنه:

«ومَا أرْسَلناكَ إلاّ رَحْمَةً لِلعالَمين»[٢]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إسماعيل شفيعي سروستاني

شتاء ٢٠١٤

---

١. سورة الحجر، الآيتان ٣٧-٣٨. وطلب ابليس من الله أن يطيل في عمره ويستمر حتى يوم القيامة. واستجاب الله طلبه بحياة طويلة، لكنه ومع الإتيان ب «إلى يوم الوقت المعلوم» رفض استمرارها حتى القيامة، لذلك فان حياة ابليس تنتهي قبل القيامة وفي وقت ظهور إمام الزمان عجل الله فرجه.

٢. سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

قصة الخلقة واختلاف الأمم

لقد غفل مؤرخو العصر الحديث أثناء دراستهم للأحداث والتطورات التاريخية، عن جزء كبير من المصادر الثقافية بما فيها المصادر والمراجع الدينية والوحيانية للأديان التوحيدية، كما أعتبروا أنفسهم لأسباب سنذكرها تاليا، في غنى عن رؤية وأسلوب عمل المؤرخين التقليديين بمن فيهم المؤرخون المسلمون. وقد إستند هؤلاء إلى البحوث والدراسات العلمية في الظاهر والبحث في علم الآثار، ليبدوا وجهة نظرهم بشأن نشأة وبرء العالم والانسان وكل ما حدث للعالم والانسان على وجه البسيطة، ويقدمون التاريخ الماضي ونشأة الخلق الأولى وحياة الأمم على أنها مشحونة بالجهل والخرافة ذلك لأن التاريخ الغربي للعصر الحديث يعد درة تاج جميع العصور والقرون وأن انسان العصر الحديث يحظى بأرفع مرتبة ودرجة من الإنطباع والمعرفة تجاه الكون والوجود. وبناء على ذلك فان هؤلاء المؤرخين، أقحموا القواعد ومناهج البحث (الميثودولوجيا)[1] الناتجة عن المذهب التجريبي[2] للعصر الحديث في دراساتهم الثقافية والتاريخية، وجعلوا منها أساسا لنظرياتهم ورؤاهم. وفي المقابل فان الوجه المشترك لكتابة التاريخ التقليدية يتمثل في الإهتمام بالطبقات والشرائح الباطنية والداخلية للوقائع والتحولات والإتعاظ

1. Methodology
2. Empiricism

بالأحداث. ويسعى هؤلاء المؤرخون لاكتشاف التقاليد التاريخية ويشيرون إلى الترابط بين الحوادث والوقائع من جهة وهذه التقاليد من جهة أخرى، ليجعلوا الانسان يتذكر ويتحدثوا عن سيره وسلوكه في ساحة التاريخ، لحمايته من الأضرار ويأخذوا بيده لتجاوز المنعطفات والصعاب. وفي الحقيقة فان المؤرخين التقليديين الشرقيين والمسلمين لا يضفون الأصالة على ظاهر الوقائع، بل أنهم يبينون الوقائع والعبر ليميطوا اللثام عن تغلب المشيئة الإلهية على جميع الأحداث والتطورات التاريخية، ويعتبرون ظرف ووعاء الوقائع والأحداث، مكانا لتحقق المشيئة الإلهية، إذ يقول الله تعالى:

«لَقَدْ كَانَ فِی قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِی الاَلْبَابِ»[1]

وفي منظور المؤرخين التقليديين، فان الحوادث والتطورات التاريخية، ما هي إلا تحقق للمشيئة الإلهية، حتى وإن كان الانسان لا يعرف شيئا عنها. لذلك، فان المؤرخ التقليدي يعتبر دراسة تاريخ ومصير الأمم والثقافات والحضارات، بانه دراسة للنتيجة والحصيلة الحتمية وغير القابلة للتكرار للأعمال التي تقوم عليها المشيئة الإلهية، وبناء على ذلك، ولأنها قابلة للتكرار، فانها تؤدي إلى إعتبار الاخرين بها.

إن المؤرخين المسلمين، يقومون دائما بتسجيل وتدوين الوقائع والأحداث، ويلقون نظرة حكيمة وحصيفة على الحركات والوقائع، وتجاوز الوجه والمظهر الخادع للحوادث والتطورات، ليكتشوا الطبقات الباطنية والداخلية والخفية للوقائع، وفي المقابل فان مؤرخي العصر الحديث، وتأثرا منهم بالمذهب الإنساني[2] ونظرته تجاه الانسان والعالم، فانهم لا يجهدون في اكتشاف أثر العوالم الباطنية وماوراء الطبيعة على الحوادث والتطورات، بل أنهم ينكرون وجود هذه العوالم ودورها على الشخصيات التاريخية للوقائع والأحداث أصلا. وهؤلاء المؤرخون يعتبرون أن

١. سورة يوسف، الآية ١١١.

2. Humanism

جميع الوقائع تتأثر بالعوامل المادية وهي مؤثرة في جميع العلاقات والتعاملات بين الأمم والشعوب. بعبارة أخرى، فانهم يستخرجون من مجمل العوامل المادية والأسباب الطبيعية وبشكل عام السياسية والإجتماعية وتارة الإقتصادية، قانونا خاصا ليعممونه ويطبقونه على جميع المجتمعات الشرقية والغربية.

إن هذه الرؤية العصرية، هي حصيلة بسط الفكر الغربي الجديد وتغلب مناهج البحث الخاصة به على جميع البحوث والدراسات في مجال العلوم التجريبية والكمية، والتي امتدت لتغطي تدريجيا الدراسات الثقافية والانسانية والتاريخية.

وفي وجه اخر، فانه يجب إعتبار فروعا من كتابة التاريخ الجديد بانها متأثرة بالمجالات الإيديولوجية والمذاهب السياسية والاجتماعية.

وبعض المؤرخين المتأثرين بالقومية والماركسية[1] و... نظروا إلى الحوادث والتحولات التي مرت على أصحاب وأهالي الحضارات القديمة، وانهمكوا إنطلاقا من وجهة النظر هذه بتحليل الوقائع والتحولات، بحيث أن المؤرخين الماركسيين ركزوا على دور العوامل الاقتصادية في التطورات التاريخية.

أما المؤرخون الأوروبيون، فقد استندوا إلى التقدمية والحداثة والعصرنة، ليبادورا إلى نقد المجتمعات التقليدية واعتمدوا الأساليب العقلية والتجريبية للعصر الحديث (المذهب العقلي[2] والمذهب التجريبي)، ليقوموا بتقييم وقياس الوقائع التي حدثت للأمم، وفي المقابل، فان الكتب السماوية للأديان التوحيدية (التوراة والإنجيل والقرآن) ورغم أنها لا تعد كتبا تاريخية تشرح وتبين الوقائع وتفسر الحوادث التي مرت على الأمم والحضارات، لكنها وبوصفها هادية ومؤشدة للأمم، تذكّر بالحالات التالية:

١. تبيان السنن التاريخية؛

٢. تقديم البداية والنشأة والغاية من الكون؛

---

١. وتفسر الماركسية التاريخ، على أساس الإقتصاد وترى بان الإقتصاد يشكل البنية التحتية لجميع الأوضاع والأحوال والتطورات. («نقد على الماركسية»، مرتضى مطهري، صدرا للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٦٣، ص ١٢.)

2. Rationalism

٣. تبيان المنعطفات والعبر التي مرت على الأمم السالفة؛
٤. إنكشاف بعض الأسرار والحقائق الخفية؛
٥. تقديم صورة مقتضبة عن الخارطة الإلهية العامة؛
٦. مصير الأمم التي حادت عن القوانين السماوية.

ولا يخفى أن مصادر وأعمال المؤرخين الذين بلوروا رؤاهم العامة تجاه العالم والانسان من المصادر الوحيانية، وعلى النقيض من رؤي ومناهج البحث لدى مؤرخي وباحثي العصر الحديث، فانهم يعتبرون بداية ومسار الخلقة مقترنا بالعلم والحكمة، ويقدمون أول انسان أي النبي **آدم**عليه السلام بانه صاحب مقام النبوة وصاحب العلم والبصيرة. وهذا الكلام لا يعني أن جملة سكان الحضارات القديمة، نظموا جميع أفعالهم وأقوالهم على أساس الحجة والعلم والعقل والحكمة السماوية، بل ذكّروا بضرورة مراجعة الأحكام التي تسعى أساسا لإنكار إي عقل ووعي معمق ورؤية نبيلة بين سكان وأمم حضارات العصور الماضية.[١]

وفي كتاب «قبيلة الرحمة» استندت إلى الآيات والروايات وجعل الحديث القدسي «دعاء الندبة» الذي وصل الينا من المعصومين عليهم السلام، أساسا، لأشير إلى المنعطفات التي مرت بها سلالة الصالحين في الأرض ومصيرهم وقدرهم المبارك في وقت ظهور الخلف الصالح والمصلح الكل المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وإستنادا إلى الرؤية التاريخية لأصحاب الإيمان والرجوع إلى المصادر الوحيانية (القرآن والأعمال المتأثرة بالرؤية التوحيدية والكلام الوحياني) وبالتالي كل ما تطرقت إليه جميع الدراسات التاريخية حول الحضارات السابقة، فانه يمكن النظر في أرجاء تاريخ الأمم والحضارات والثقافات السابقة واللاحقة، إلى فرعين أو تيارين. الأول، تيار متأثر ومستند إلى الحقائق السماوية على طريق الإصلاح والصلاح ويسعى ليتبع مسارا إيمانيا في مشهدية التاريخ، والاخر، تيار مستند

١. لقد اهتممت في كتابة هذا المقال، بمقالة «نحن وكتابة التاريخ الحديث» بقلم الدكتور محمدحسن رجبي، والتي نشرت في فصلية «سورة» العدد ٤٨-٤٩ للعام ٢٠١٠.

ومتأثر بالوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية، ويسير في طريق الضلال ويؤدي إلى إزدهار مخزون العدو العريق للانسان أي الشيطان الرجيم. وأطلق على التيار أو الفرع الأول إسم «قبيلة الرحمة» وعلى التيار أو الفرع الثاني إسم «قبيلة اللعنة»

إتلُ نبأ ابني آدم!

ولدراسة وتحديد كل ما جرى من وجهة أصحاب الإيمان في فجر الخلقة لأول انسان والأسرة الأولية، وبما أن هذا الأمر وقع في «الزمن بلا زمن» وفي الأفق البعيد للرؤية التجريبية والوعي التاريخي للانسان، فانه لا مفر سوى الرجوع إلى المصادر الوحيانية (القرآن والروايات). وتقول هذه المصادر بهذا الخصوص:

وبعد أول تجربة لآدم عليه السلام وحواء والعمل الذي تسبب بهبوطهما إلى الأرض، فان ابليس الذي أقسم لإغواء وتضليل بني آدم[1]، إستهدف إبني آدم عليه السلام أي هابيل وقابيل.

وتحول الحسد هذه المرة إلى وسيلة ركبها الشيطان ليمارس الإغواء ويؤدي إلى ضلال وتعاسة إبن من ذرية آدم عليه السلام. وقد ذكّر القرآن الكريم، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقراءة قصة هذين الإبنين وقال:

«وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أَحدهمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ منَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ منَ الْمُتَّقينَ * لَئن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَنى مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمينَ * إِنِّى أُريدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمى وَإِثْمكَ فَتَكُونَ منْ أَصْحَاب النَّار وَذَلكَ جَزَاء الظَّالمينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ منَ الْخَاسرينَ * فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فى الاَرْض ليُريَهُ كَيْفَ يُوَارى سَوْءَةَ أَخيه قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مثْلَ هَذَا الْغُرَاب فَأُوَارىَ سَوْءَةَ أَخى

---

١. في صبيحة الخلقة وقضية السجدة لآدم عليه السلام، قال **ابليس** متوجها إلى الله «**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**» (سورة ص، الآية ٨٢).

فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادمينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الاَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِى الاَرْضِ لَمُسْرِفُونَ»[1]

« فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ»[2]

وجاء في «تفسير العياشي» عن **هشام بن سالم** عن **حبيب السجستاني** عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«لَمَّا قَرَّبَ ابْنَا آدَمَ الْقُرْبَانَ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ تُقُبِّلَ مِنْ هَابِيلَ وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ قَابِيلَ دَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ حَسَدٌ شَدِيدٌ وَ بَغَى عَلَى هَابِيلَ وَ لَمْ يَزَلْ يَرْصُدُهُ وَ يَتَّبِعُ خَلْوَتَهُ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ مُتَنَحِّياً عَنْ آدَمَ فَوَثَبَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ فَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِمَا مَا قَدْ أَنْبَأَ اللهُ فِى كِتَابِهِ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُحَاوَرَةِ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَهُ قَالَ فَلَمَّا عَلِمَ آدَمُ بِقَتْلِ هَابِيلَ جَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعاً شَدِيداً وَ دَخَلَهُ حُزْنٌ شَدِيدٌ قَالَ فَشَكَا إِلَى اللهِ ذَلِكَ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنِّى وَاهِبٌ لَكَ ذَكَراً يَكُونُ خَلَفاً لَكَ مِنْ هَابِيلَ قَالَ فَوَلَدَتْ حَوَّاءُ غُلَاماً زَكِيّاً مُبَارَكاً فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ السَّابِعِ سَمَّاهُ آدَمُ شَيْثَ فَأَوْحَى اللهُ إِلَى آدَمَ أَنَّمَا هَذَا الْغُلَامُ هِبَةٌ مِنِّى لَكَ فَسَمِّهِ هِبَةَ اللهِ قَالَ فَسَمَّاهُ هِبَةَ اللهِ قَالَ فَلَما دَنَا أَجَلُ آدَمَ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يَا آدَمُ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُ رُوحِكَ إِلَىَّ يَوْمَ كَذَا وَ كَذَا فَأَوْصِ إِلَى خَيْرِ وُلْدِكَ وَ هُوَ هِبَتِى الَّذِى وَهَبْتُهُ لَكَ فَأَوْصِ إِلَيْهِ وَ سَلِّمْ إِلَيْهِ مَا عَلَّمْنَاكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالإِسمِ الأَعْظَمِ...»

ووفقا للسنة المتبعة، فان جميع الأنبياء الإلهيين العظام، مكلفون بنقل جميع ودائعهم وأمانتهم إلى وصيهم المنصوب من الله تعالى.

إن سلسلة الحجج الإلهيين كانوا دائما ومنذ اليوم الأول مع الانسان، لكي لا

---

١. سورة المائدة، الآيات ٢٧-٣٢.

٢. سورة المائدة، الآية ٣٠.

يبتعد الانسان الفاقد للهادي والحجة الإلهية عن الصراط المستقيم ويتحول إلى فريسة لابليس.

وحسب تلك السنة الجارية، فان جميع الذين وقعوا في فخ ابليس، كانوا قبل هذه الواقعة قد خرجوا عن ساحة نظر وعمل الحجج الإلهيين، وإلا فان ابليس وفي بداية الأمر، لم تتح له مجالا للتصرف في أرواح وأنفس الناس. وبعد النبي **آدم**عليه السلام فان جملة سكان الأرض، قد سلموا في مسار الهداية والنمو إلى وصيه حضرة هبة الله.

دولة الحق، دولة إبليس

إن تاريخ حضور وسير الانسان في التاريخ، يعكس تاريخ تجسيد دولتين، دولة حضرة الحق جلّ وعلا ودولة **إبليس** اللعين. إن الأسس النظرية والأوجه العملية لحياة كل من الأمم والثقافات والحضارات التي عاشت في الألفيات السالفة، مؤشر على نسبتها وقرابتها مع كل من هاتين الدولتين، وبالتالي مدى استقرارهما على مسار الحق أو الباطل.

وسأل رجل، الامام الصادق عليه السلام عن تفسير الآية المباركة «**وَتِلْكَ الاَيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاس**»[1]، فقال عليه السلام:

«ما زالَ مُذ خَلَقَ اللهُ آدمَ فی کلِّ زَمانٍ دولتین؛ دولة لله جَلَّ وَ عَزَّ وَهی دَولة الاَنبیاء و الاوصیاء، و دَولة لابلیس. فإذا کانَت الدَّولَة للانبیاء والاَوصیاء عُبدَ اللهُ فی الظَّاهر، و إذا کانَت دَولَة إبلیس (لعنه الله) عُبدَ اللهُ فی السِّر.»[2]

وعلى الرغم من أن مكيدة ابليس، تحولت إلى ذريعة لترك الأولى وهبوط **آدم**عليه السلام و**حواء**عليها السلام إلى الأرض، لكن إنابة ونحيب النبي آدم عليه السلام أدى إلى فوران

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

٢. «إثبات الوصية»، علي بن حسين المسعودي، قم، انصاريان، الطبعة الثالثة، ١٣٨٤، ص ١٩.

رحمة الله والصفح عنه، ومع ذلك، فان ابليس لم يتراخ ولم يتراجع وعقد عزمه على إغواء بني آدم عسى أن يرسي ويؤسس دولته الدنيئة على أكتاف بني آدم. وجاء في «روضة الكافي» في شرح الأحداث التي وقعت لابناء هذا النبي المكرم:

«عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: فَلَمَّا أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ فَوُلِدَ لَهُ هَابِيلُ وَ أُخْتُهُ تَوْأَمٌ وَ وُلِدَ لَهُ قَابِيلُ وَ أُخْتُهُ تَوْأَمٌ ثُمَّ إِنَّ آدَمَ عليه السلام أَمَرَ هَابِيلَ وَ قَابِيلَ أَنْ يُقَرِّبَا قُرْبَاناً وَ كَانَ هَابِيلُ صَاحِبَ غَنَمٍ وَ كَانَ قَابِيلُ صَاحِبَ زَرْعٍ فَقَرَّبَ هَابِيلُ كَبْشاً مِنْ أَفَاضِلِ غَنَمِهِ وَ قَرَّبَ قَابِيلُ مِنْ زَرْعِهِ مَا لَمْ يُنَقَّ فَتُقُبِّلَ قُرْبَانُ هَابِيلَ وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُ قَابِيلَ وَ هُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[1] وَ كَانَ الْقُرْبَانُ تَأْكُلُهُ النَّارُ فَعَمَدَ قَابِيلُ إِلَى النَّارِ فَبَنَى لَهَا بَيْتاً وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى بُيُوتَ النَّارِ فَقَالَ لَأَعْبُدَنَّ هَذِهِ النَّارَ حَتَّى تَتَقَبَّلَ مِنِّي قُرْبَانِي ثُمَّ إِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ أَتَاهُ وَ هُوَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ فَقَالَ لَهُ يَا قَابِيلُ قَدْ تُقُبِّلَ قُرْبَانُ هَابِيلَ وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُكَ وَ إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَهُ يَكُونُ لَهُ عَقِبٌ يَفْتَخِرُونَ عَلَى عَقِبِكَ وَ يَقُولُونَ نَحْنُ أَبْنَاءُ الَّذِي تُقُبِّلَ قُرْبَانُهُ فَاقْتُلْهُ كَيْ يَكُونَ لَهُ عَقِبٌ يَفْتَخِرُونَ عَلَى عَقِبِكَ فَقَتَلَهُ فَلَمَّا رَجَعَ قَابِيلُ إِلَى آدَمَ عليه السلام قَا ل لَهُ يَا قَابِيلُ أَيْنَ هَابِيلُ فَقَالَ اطْلُبْهُ حَيْثُ قَرَّبْنَا الْقُرْبَانَ فَانْطَلَقَ آدَمُ عليه السلام فَوَجَدَ هَابِيلَ قَتِيلا فَقَالَ آدَمُ عليه السلام لُعِنْتَ مِنْ أَرْضٍ كَمَا قَبِلْتِ دَمَ هَابِيلَ وَ بَكَى آدَمُ عليه السلام عَلَى هَابِيلَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ إِنَّ آدَمَ سَأَلَ رَبَّهُ وَلَداً فَوُلِدَ لَهُ غُلامٌ فَسَمَّاهُ هِبَةَ اللهِ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَهَبَهُ لَهُ وَ أُخْتُهُ تَوْأَمٌ ...؛[2]

---

١. سورة المائدة، الآية ٢٧.

٢. «الروضة من الكافي»، محمد بن يعقوب الكليني، ترجمة رسول محلاتي، طهران، علمية اسلامية للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٦٤، ج ١، صص ١٦٢-١٦٣.

أول مسجد وأول معبد

إن العبادة هي في ذات الإنسان وروحه، لذلك ومثلما أن العبادة والإجلال والإنحناء سجودا أمام الله المتعال، أمر جعله الله في فطرة الانسان، فان بناء المسجد والمعبد الخاص واستنادا للكتب السماوية، أمر جعله الله الحكيم في جميع الأديان التوحيدية من أجل عبادة الله، بحيث يقول سبحانه وتعالى:

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ»[1]

إن مفردة المسجد[2] تعني موضع السجود والعبادة والخشوع لله تعالى، وقد وردت ٢٨ مرة في القرآن الكريم. ويمكن اعتبار «المسجد الحرام» أول وأقدم مكان للعبادة.

وتنسب المصادر الدينية والوحيانية، بناء أول مسجد (الكعبة الاولى) إلى الملائكة وبأمر من الله المتعال. وقد ورد شرح هذه الواقعة في أكثر الكتب التاريخية إعتبارا وأقدمها أي «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار» لـ**أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الازرقي** المولود في القرن الثاني للهجرة. وكتابه «أخبار مكة» يعد من الكتب القيمة في القرنين الثاني والثالث للهجرة.

---

١. سورة الروم، الآية ٣٠.

٢. المسجد (مَ جَ) أي الجبهة حيث يكون نَدَب السجود.

إن معرفة مرجع ونشأة بناء وترتيب أول مسجد، يكتسي أهمية لسبب أن العبادة هي حاجة في نفس الانسان. إن ابليس ومن أجل حرف الإنسان وجعل المعبد بدلا من المسجد، بذل قصارى جهده ودأب منذ الأيام الاولى على حرف الانسان وصرفه عن عبادة الله لينصرف إلى الشيطان، وسعى على الفور لبناء وتشييد المعبد ليحل محل المسجد. وهذا الموضع يحظى بأهمية بالغة في التاريخ الثقافي لـ«قبيلة الرحمة» في مقابل «قبيلة اللعنة»

ويكشف حديث رجل سائل في باحة «المسجد الحرام» مع الإمام علي بن الحسين عليه السلام حول بناء أول مسجد ومن بناه، عن مرجع ونشأة تشييد أول مسجد:

«حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيد قَالَ: حَدَّثَنى عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ بْن مُسْلم الْعِجْلِيُّ، عَنْ أَبيه، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسمُ بْنُ عَبْد الرَّحْمَن الانْصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْن الْحُسَيْن[1]، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبى عَلِيِّ بْن الْحُسَيْن بمَكَّةَ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بالْبَيْت، وَأَنَا وَرَاءَهُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ شَرْجَعٌ منَ الرِّجَال، يَقُولُ: طَويلٌ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى ظَهْر أَبى، فَالْتَفَتَ أَبى إِلَيْه، فَقَالَ الرَّجُلُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ بنْت رَسُول الله، إِنِّى أُريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَسَكَتَ أَبى، وَأَنَا وَالرَّجُلُ خَلْفَهُ، حَتَّى فَرَغَ منْ أُسْبُوعه فَدَخَلَ الْحجْرَ، فَقَامَ تَحْتَ الْميزَاب، فَقُمْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ خَلْفَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَىْ أُسْبُوعه، ثُمَّ اسْتَوَى قَاعدًا، فَالْتَفَتَ إِلَىَّ، فَقُمْتُ، فَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبه، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَيْنَ هَذَا السَّائلُ؟ فَأَوْمَأْتُ إِلَى الرَّجُل، فَجَاءَ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَىْ أَبى، فَقَالَ لَهُ أَبى: «عَمَّا تَسْأَلُ؟» قَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ بَدْء هَذَا الطَّوَاف بهَذَا الْبَيْت لمَ كَانَ، وَأَنَّى كَانَ، وَحَيْثُ كَانَ، وَكَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ لَهُ أَبى: «نَعَمْ منْ أَيْنَ أَنْتَ؟» قَالَ: منْ أَهْل الشَّام، قَالَ: «أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟» قَالَ: فى بَيْت الْمَقْدس، قَالَ: «فَهَلْ قَرَأْتَ الْكتَابَيْن؟» يَعْنى التَّوْرَاةَ وَالإِنْجيلَ، قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ، قَالَ أَبى: «يَا أَخَا أَهْلِ الشَّام،

١. الإمام زين العابدين عليه السلام.

احْفَــظْ وَلَا تَرْوِيَنَّ عَنِّى إِلَّا حَقًّا، أَمَّا بَدْءُ هَذَا الطَّوَاف بِهَذَا الْبَيْت، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِلْمَلَائِكَة: {إِنِّــى جَاعِلٌ فِى الاَرْض خَلِيفَةً} [البقرة: ۳۰] فَقَالَت الْمَلَائِكَةُ: أَىْ رَبِّ أَخَلِيفَةٌ مِنْ غَيْرِنَا، مِمَّنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَيَتَحَاسَدُونَ، وَيَتَبَاغَضُونَ، وَيَتَبَاغَوْنَ؟ أَىْ رَبِّ اجْعَلْ ذَلِكَ الْخَلِيفَةَ مِنَّا، فَنَحْنُ لَا نُفْسِدُ فِيهَا، وَلَا نَسْــفِكُ الدِّمَاءَ، وَلَا نَتَبَاغَضُ، وَلَا نَتَحَاسَدُ، وَلَا نَتَبَاغَى، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ، وَنُطِيعُكَ، وَلَا نَعْصِيكَ.» فَقَــالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقــرة: ۳۰] قَالَ: «فَظَنَّت الْمَلَائِكَــةُ أَنَّ مَا قَالُوا رَدًّا عَلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ قَدْ غَضِبَ مِنْ قَوْلِهِمْ فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ، وَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، وَأَشَارُوا بِالاَصَابِعِ يَتَضَرَّعُونَ، وَيَبْكُونَ إِشْــفَاقًا لِغَضَبِه، وَطَافُوا بِالْعَرْشِ ثَلَاثَ ســاعَات، فَنَظَرَ اللهُ إِلَيْهِمْ فَنَزَلَت الرَّحْمَةُ عَلَيْهِــمْ، فَوَضَعَ اللهُ تَعَالَى تَحْتَ الْعَرْشِ بَيْتًا عَلَى أَرْبَعِ أَســاطِينَ مِنْ زَبَرْجَد، وَغَشَاهُنَّ بِيَاقُوتَة حَمْرَاءَ، وَسُمِّىَ ذَلِكَ الْبَيْتُ الضُّرَاحَ، ثُمَّ قَالَ اللهُ تَعَالَــى لِلْمَلَائِكَةِ: طُوفُوا بِهَذَا الْبَيْت، وَدَعُــوا الْعَرْشَ»، قَالَ: «فَطَافَت الْمَلَائِكَــةُ بِالْبَيْت، وَتَرَكُوا الْعَرْشَ، وَصَارَ أَهْــوَنَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَرْشِ، وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ الَّذِى ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَدْخُلُهُ فِى كُلِّ يَوْم وَلَيْلَة سَــبْعُونَ أَلْفَ مَلَك لَا يَعُودُونَ فِيه أَبَدًا، ثُمَّ إِنَّ اللهَ سُــبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ الْمَلَائِكَةَ فَقَالَ لَهُمْ: ابْنُوا لِى بَيْتًا فِى الاَرْض بِمِثَالِه وَقَدْرِه، فَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ مَنْ فِى الاَرْض مِنْ خَلْقِه أَنْ يَطُوفُوا بِهَذَا الْبَيْت، كَمَا يَطُوفُ أَهْلُ السَّــمَاء بِالْبَيْت الْمَعْمُور»، فَقَالَ الرَّجُلُ: صَدَقْتَ يَا ابْنَ بِنْت رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا كَانَ.»[1]

ونقل في موضع اخر عن **محمد بن المنكدر** حيث قال:

إن أول ما قام به آدم عليه السلام بعد هبوطه من السماء إلى الاَرض، هو الطواف حول البيت. وعندهــا قابلته الملائكة فى الطــواف وقالت: يا آدم! حج

۱. «جامع أحاديث الشيعة»، كتاب الحج، ج ۱۰، صص ۳-٤.

مقبول! لقد كنا نطوف حول هذا البيت بالفى عام قبلك.

كما نقل عن **إبن عباس** قوله:

لقد أدى آدم الحج وطاف حول الكعبة سبعة أشواط. ورأته الملائكة أثناء الطواف فقالت: يا آدم! حج مقبول! لقد قمنا بحج هذا البيت بألفى عام قبلك. فسأل آدم عليه السلام: ماذا تقولون أنتم فى الطواف؟ فقالوا: نقول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فقال آدم عليه السلام: وأضيفوا «لا حول ولا قوة إلا بالله» إلى ذلك. ففعل الملائكة ذلك. ومن ثم وبعد أن بنى النبى إبراهيم عليه السلام البيت وطاف به، لاقته الملائكة أثناء الطواف فسلمت عليه. فسأل ابراهيم عليه السلام «ماذا تقولون فى طوافكم؟» فقالوا: قبل عهد آدم عليه السلام كنا نقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ولأننا أخبرنا آدم عليه السلام قال: أضيفوا «ولا حول ولا قوة إلا بالله» إليها. فقال ابراهيم عليه السلام: أضيفوا إليها ايضا «العلى العظيم»، ففعلت الملائكة ذلك.[1]

إن الآية المباركة: «**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**»[2] تميط اللثام صراحة عن قِدم «الكعبة» كأول مسجد ومكان للعبادة وتقدمها على سائر المباني وأماكن العبادة. وربما يمكن إعتبار قدم المسجد و «الكعبة» بانه يساوي قدم عبادة الخالق، بحيث أن المبرهن بالنسبة للانسان هو أنه مجبول على العبادة وهو بحاجة ماسة إلى أرفع وأسمى مكان للعبادة.

إن درك هذا الموضوع ضروري لتتبع سير وسفر قبيلة الرحمة في الارض وبعده جولان «قبيلة اللعنة» لردع بني آدم عن الطاعة الخالصة لله تعالى وإغواء الإنسان في مستنقع عبادة الشيطان.

إن المصادر الروائية للمعصومين عليهم السلام تضع نبراسا مضيئا أمامنا:

---

١. «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام»، ترجمة هادي أنصاري، مكتبة الحج، ١٣٧٧، ص ٢.
٢. سورة آل عمران، الآية ٩٦.

ونقل سعيد الأعرج عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إِنَّ قُرَيْشــاً لَمّا هَدَمُــوا الْكَعْبَةَ وَجَدُوا فی قَوَاعده حَجَــراً فيه كتَابٌ لَمْ يُحْسنُوا قرَاءَتَهُ حَتَّى دَعَوْا رَجُلا فَقَرَأَهُ فَإِذَا فيه أَنَا اللهُ ذُو بَكَّةَ حَرَّمْتُهَا يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَ الاَرْضَ وَ وَضَعْتُهَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ وَ حَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلاكٍ حَفّاً.»[1]

الكعبة، البناء والتقاليد

إن هوية كل مبنى تتجسد وتبرز من خلال نوعية الإستخدام المخصص له، مثلما أن كل بيت يشيد للسكن وكل دكان يبنى للتجاره. وتتجلى «الكعبة والمسجد الحرام» من خلال مجموعة من الأعمال والمناسك العبادية المقررة، وكما أن الكعبة قد شيدت بإذن من الله تعالى وبأمره، فان الأعمال والمناسك الخاصة بهذا المكان، قد وضعها وأعلنها الله تعالى أيضا، وفيما يخص أعمال الحج، نقل عن أبي عبد الله عليه السلام حيث قال عليه السلام:

«رُوِىَ عَــنْ بُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَخيه زُرَارَةَ قَــالَ قُلْتُ لأَبى عَبْدالله عليه السلام: «جَعَلَنِىَ اللهُ فدَاكَ! أَسْــأَلُكَ فى الْحَجِّ مُنْذُ أَرْبَعِيــنَ عَاماً فَتُفْتِينى. فَقَالَ: «يَا زُرَارَةُ! بَيْتٌ يُحَجُّ قَبْلَ آدَمَ عليه السلام بِأَلْفَىْ عَامٍ. تُرِيدُ أَنْ تَفْنَى مَسَــائِلُهُ فِى أَرْبَعِينَ عَاماً!؟»[2]

وقال أبو بصير إن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إِنَّ آدَمَ عليه السلام هُوَ الَّذِى بَنَى الْبَيْتَ وَ وَضَعَ أَسَاسَــه وَ أَوَّلُ مَنْ كَسَاهُ الشَّعْرَ

---

١. «الكافي» محمد بن يعقوب الكليني، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧، ج ٤، ص ٢٢٥؛ «الجواهر السنية في الأحاديث القدسية»، الشيخ الحر العاملي، طهران، دهقان للنشر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٠، ص ٦٦٣.

٢. «مختارات من لا يحضره الفقيه»، محمد بن علي بن بابويه، طهران، فيض كاشاني، الطبعة الاولى، ١٣٧٦، ج ١، ص ٩٠.

وأَوَّلُ مَنْ حَجَّ إِلَيْه ثُمَّ كَسَاهُ تُبَّعٌ[١] بَعْدَ آدَمَ عليه السلام الاَنْطَاع.»[٢]

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«[...] وَعلَّــةُ الطَّوَاف بالْبَيْت أَنَّ اللهَ تَبــارَكَ وَ تَعَالَى قَالَ لْلْمَلائكَة إِنِّى جاعلٌ فى الاَرْض خَليفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسدُ فيها وَ يَسْفكُ الدِّماءَ فَــرَدُّوا عَلَى اللهِ تَعَالَى هَذَا الْجَوابَ فَندمُوا وَ لاذُاُوا بالْعَرْش وَ اسْــتَغْفَرُوا فَأَحَبَّ اللهُ عَزّ وَجَلَّ أَنْ يَتَعَبَّدَ بمثْل ذَلكَ الْعبَادُ فَوَضَعَ فى السَّــماء الرَّابعَة بَيْتاً بحذَاء الْعَرْش يُسَــمَّى الضُّرَاحَ ثُمَّ وَضَعَ فى السَّمَاء الدُّنْيَا بَيْتاً يُسَمَّى الْمَعْمُــورَ بحذَاء الضُّرَاح ثُمَّ وَضَعَ هَذَا الْبَيْتَ بحذَاء الْبَيْت الْمَعْمُور ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام فَطَافَ به فَتَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْه وَ جَرَى ذَلكَ فى وُلْده إِلَى يَوْم الْقيَامَة وَ علَّةُ اسْتلام الْحَجَر أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ ميثَاقَ بَنى آدَمَ الْتَقَمَهُ الْحَجَرُ فَمنْ ثَمَّ كَلَّفَ النَّاسَ تَعَاهُدَ ذَلكَ الْميثَاق وَ منْ ثَمَّ يُقَالُ عنْدَ الْحَجَر أَمَانَتى أَدَّيْتُهَا وَ ميثاق [ميثَاقى] تَعَاهَدْتُهُ لتَشْهَدَ لى بالْمُوَافَاة...»[٣]

وعن حكمة كون «الكعبة» مربعة وموقعها مكانيا، قال الإمام الصادق عليه السلام وهو يرد على سائل سأل ذلك:

«مُعَاوِيَةَ بْن عَمَّارَ رُوىَ عَن الصَّادق عليه السلام: أَنَّهُ سُئلَ لمَ سُمِّيَت الْكَعْبَةُ كَعْبَةً؟ قَالَ: «لأَنَّهَا مُرَبَّعَةٌ» فَقيلَ لَهُ: وَ لمَ صَارَتْ مُرَبَّعَةً؟ قَالَ: «لأَنَّهَا بحذَاء الْبَيْت الْمَعْمُور وَ هُوَ مُرَبَّعٌ.» فَقيلَ لَهُ: وَ لمَ صَارَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ مُرَبَّعاً؟ قَالَ: «لأَنَّهُ بحــذَاء الْعَرْش وَ هُوَ مُرَبَّعٌ.» فَقيلَ لَهُ: وَ لمَ صَارَ الْعَرْشُ مُرَبَّعاً؟ قَالَ: «لأَنَّ الْكَلمَاتَ الَّتى بُنىَ عَلَيْهَا الإِسْــلامُ أَرْبَعٌ وَ هىَ سُبْحَانَ اللهِ وَ الْحَمْدُ للهَ وَلا إِلهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَر.»[٤]

---

١. وكان «تبع» شخص أصيب بعارض شديد بسبب إساءته للكعبة، لكن مشكلته سويت بعد استغفاره. وبعد ذلك كسا الكعبة بكساء جلدي.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢.

٣. «ترجمة عيون أخبار الرضا عليه السلام»، محمد بن علي بن بابويه، طهران، الصدوق، الطبعة الاولى، ١٣٧٢، ج ٢، ص ١٧٦.

٤. «علل الشرائع»، محمد بن علي بن بابويه، ترجمة ذهني طهراني، قم، المؤمنون للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٨٠،

وتقديما للحجر الأسود الذي وضع في أحد أركان الكعبة، كشف الإمام الصادق عليه السلام النقاب عن أحد أسرار الله وبيّن حكمة واحدة من السُنن العبادية المقررة للمؤمنين.

ونقل **بكير بن أعين** عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«هَل تَدْرى مَا كَانَ الْحَجَرُ قَالَ قُلْتُ لا قَالَ كَانَ مَلَكاً عَظيماً منْ عُظَمَاء الْملائكَة عنْدَ الله عَزَّوَجَلَّ فَلَمَّا أَخَذَ اللهُ مَن الْملائكَة الْميثَاقَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ به وَ أَقَرَّ ذَلكَ الْمَلَكُ فَاتَّخَذَهُ اللهُ أَميناً عَلَى جَميع خَلْقه فَأَلْقَمَهُ الْميثَاقَ وَ أَوْدَعَهُ عنْدَهُ وَ اسْتَعْبَدَ الْخَلْقَ أَنْ يُجَدِّدُوا عنْدَهُ فى كُلِّ سَنَة الْإِقْرَارَ بالْميثَاق وَ الْعَهْد الَّذى أَخَذَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ جَعَلَهُ اللهُ مَعَ آدَمَ فى الْجَنَّة يَذْكُرُ الْميثَاقَ وَ يُجَدِّدُ عنْدَهُ الْإِقْرَارَ فى كُلِّ سَنَة فَلَمَّا عَصَى آدَمُ فَأُخْرجَ منَ الْجَنَّة أَنْسَاهُ اللهُ الْعَهْدَ وَ الْميثَاقَ الَّذى أَخَذَ اللهُ عَلَيْه وَ عَلَى وُلْده لمُحَمَّد وَ وَصيِّه وَ جَعَلَهُ بَاهتاً حَيْرَانَ فَلَمَّا تَابَ عَلَى آدَمَ حَوَّلَ ذَلكَ الْمَلَكَ فى صُورَة دُرَّة بَيْضَاءَ فَرَمَاهُ منَ الْجَنَّة إلَى آدَمَ وَ هُوَ بأَرْض الْهنْد فَلَمَّا رَآهُ آنَسَ إلَيْه وَ هُوَ يَعْرفُهُ بأَكْثَرَ منْ أَنَّهُ جَوْهَرَةٌ فَانْطَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ يَا آدَمُ أَ تَعْرفُنى قَالَ أَجَلْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكَ ذكْرَ رَبِّكَ وَ تَحَوَّلَ إلَى الصُّورَة الَّتى كَانَ بهَا فى الْجَنَّة مَعَ آدَمَ فَقَالَ لآدَمَ أَيْنَ الْعَهْدُ وَ الْميثَاقُ فَوَثَبَ إلَيْه آدَمُ وَ ذَكَرَ الْميثَاقَ وَ بَكَى وَ خَضَعَ لَهُ وَ قَبَّلَهُ وَ جَدَّدَ الْإِقْرَارَ بالْعَهْد وَ الْميثَاق ثُمَّ حَوَّلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلَى جَوْهَر الْحَجَر دُرَّةً بَيْضَاءَ تُضىءُ فَحَمَلَهُ آدَمُ عَلَى عَاتقه إجْلالاً لَهُ وَ تَعْظيماً فَكَانَ إذَا أَعْيَا حَمَلَهُ عَنْهُ جَبْرَئيلُ حَتَّى وَافَى به مَكَّةَ فَمَا زَالَ يَأْنَسُ به بمَكَّةَ وَيُجَدِّدُ الْإِقْرَارَ لَهُ كُلَّ يَوْم وَ لَيْلَة ثُمَّ إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَمَّا أَهْبَطَ جَبْرَئيلَ إلَى أَرْضه وَ بَنَى الْكَعْبَةَ هَبَطَ إلَى ذَلكَ الْمَكَان بَيْنَ الرُّكْن وَ الْبَاب وَ فى ذَلكَ الْمَوْضع تَرَاءَى لآدَمَ حينَ أَخَذَ الْميثَاقَ وَ فى ذَلكَ الْمَوْضع أَلْقَمَ الْمَلَكَ.

ج ۲، ص ۲۸۷.

الْميثَــاقَ فَلتلْكَ الْعلَّة وُضعَ فى ذَلكَ الرُّكْن وَ نَحَّى آدَمَ منْ مَكَان الْبَيْت إلَى الصَّفَا وَ حوَّاءَ إلَى الْمَرْوَة وَ جعَلَ الْحَجَرَ فى الرُّكْن فَكَبَّرَ اللهَ وَ هَلَّلَهُ وَ مَجَّدَهُ فَلذَلكَ جَرَت السُّنَّةُ بالتَّكْبير»[1]

وأعتبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هذا البيت سببا لاختبار الناس وثباتهم، فقال عليه السلام:

«أَلا تَــرَوْنَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اخْتَبَرَ الاَوَّلينَ منْ لَدُن آدَمَ إلَى الْآخرينَ منْ هَذَا الْعَالَم بأَحْجَــار لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ ولاَ تُبْصرُ ولا تَسْــمعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذى جَعَلَهُ للنَّاس قيَاماً ثُمَّ وَضَعَهُ بأَوْعَر بقَاع الاَرْض حَجَراً وَ أَقَلِّ نَتَائق الدُّنْيَا مَدَراً وَ أَضْيَق بُطُون الاَوْديَة مَعَاشــاً وَ أَغْلَظ مَحَالِّ الْمُسْلمينَ ميَاهاً بَيْنَ جبَال خَشــنَة وَ رمَال دمثَة وَ عُيُون وَشلَة وَ قُرًى مُنْقَطعَة وَ أَثَر منْ مَوَاضع قَطْر السَّمَاء دَاثر لَيْسَ يَزْكُو به خُفٌّ وَلا ظلْفٌ ولاَ حَافرٌ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَ وُلْدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لمُنْتَجَع أَسْــفَارهمْ وَ غَايَةً لمُلْقَــى رحَالهمْ تَهْوى إلَيْه ثمَارُ الاَفْئدَة مــنْ مَفَاوز قفَار مُتَّصلَة وَ جزَائر بحَــار مُنْقَطعَة وَ مَهَاوى فجَاج عَميقَة حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ للهَ حَوْلَهُ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامهمْ شُعثاً غُبراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا الْقُنَعَ وَ السَّرَابيلَ وَرَاءَ ظُهُورهم ...»[2]

ويكتب مؤرخون شهيرون بمن فيهم اليعقوبي، حول عمارة «الكعبة» على يد النبي آدم عليه السلام:

«... لذلک ذهب آدم إلى «مكة» وبنى البيت وطاف به. ومن ثم قال ربه، أن يضحى لله ويدعوه ويقدسه.»[3]

---

١. «قسم الإمامة (ترجمة ج ٢٣-٢٧ بحار الأنوار)»، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، طهران، إسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٦٣، ج ٤، صص ٢٠١-٢٠٢.

٢. محمد بن حسين الرضي، «نهج البلاغة»، ترجمة دشتي، قم، مشهور، الطبعة الاولى، ١٣٧٩، ص ٣٨٩

٣. «تاريخ اليعقوبي»، أحمد نبابي واضح اليعقوبي، ترجمة ابراهيم آيتي، طهران، العلمية والثقافية للنشر، الطبعة السادسة، ١٣٧١، ج ١، ص ٤.

وأكد مؤرخون شهيرون آخرون على ذلك. ويقول **إبن سعد** في «الطبقات الكبرى»:

لقد بنى آدم الكعبة من أحجار خمسة جبال... وجاء ملك وذهب به إلى عرفات، وعلمه جميع مناسك الحج بالطريقة التى يؤديها الناس اليوم ثم أعاده إلى مكة وطاف بالكعبة سبعة أشواط.[١]

وأحد المآخذ التي يأخذها بنو اسرائيل، يتمثل في أنه لماذا تخلى المسلمون عن «بيت المقدس» الذي بني بألف عام قبل ميلاد السيد **المسيح**عليه السلام على يد النبي **سليمان**عليه السلام، وجعلوا من الكعبة قبلة لهم. وهذه الآية تقول ردا عليهم:

«إِنّ أَوّلَ بَيْت وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذى بِبَكّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ»[٢]

وقال الإمام الصادقعليه السلام ونظرا إلى عبارة «أول بيت» في هذه الآية ما مضمونه: أنه بما أن أهالي مكة اجتمعوا بعد الكعبة حولها، لذلك فان الأولوية هي للكعبة، لذلك يمكن تخريب البيوت المحيطة بالكعبة لمصلحة الحرم من أجل توسيع «المسجد الحرام».[٣]

ويقول الإمام عليعليه السلام في الخطبة ١٩٢ من «نهج البلاغة»:

«أَ لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الاَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الله عليه إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ.»[٤]

وأشار الإمام الباقرعليه السلام إلى حج سائر الأنبياء الإلهيين العظام لـ«المسجد الحرام» والطواف حول الكعبة، ويتحدث عن قدم هذا البناء والتقليد العبادي الخاص في هذا الحرم فيقولعليه السلام:

---

١. «الطبقات الكبرى»، ابن سعد، ترجمة محمود مهدوي دامغاني، طهران، الثقافة والفكر، ١٣٧٤، ج ١، ص ٢٢.

٢. سورة آل عمران، الآية ٩٦.

٣. «وسائل الشيعة»، الشيخ محمد بن حسن الحر العاملي، ج ١٣، ص ٢١٧.

٤. «نهج البلاغة»، محمد بن حسين الرضي، المصدر السابق.

«إِنَّ آدَمَ وَ نُوحاً حَجَّا وَ سُـلَيْمَانَ بْـنَ دَاوُدَ قَدْ حَجَّ الْبَيْتَ بِالْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ وَ الرِّيحِ وَ حَجَّ مُوسَى عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ يَقُولُ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ...»[١]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يَزَالُ الدِّينُ قَائماً مَا قَامَتِ الْكَعْبَةُ.»[٢]

وهذه الروايات تعتبر النبي **سليمان** عليه السلام من الذين حجوا وطافوا حول الكعبة، وتعتبر الكعبة في «المسجد الحرام» بمثابة رمز للتدين وبقاء الدين لدى جميع الأمم.

١. «البرهان في تفسير القرآن»، السيد هاشم بن سليمان البحراني، قم، مؤسسة البعثة، الطبعة الاولى، ١٣٧٤، ج ١، ص ٣٣٤.

٢. «علل الشرائع»، محمد بن علي بن بابويه، قم، مكتبة داوري، الطبعة الاولى، ١٣٨٥، ج ٢، ص ٣٩٦.

المواقع المقدسة

لقد كانت هناك دائما في بقاع من الأرض لاسيما الجغرافيا الواسعة الكائنة بين ثلاثة مساجد عريقة أي «المسجد الحرام» و «مسجدا لكوفة» و «المسجد الأقصى»، مواقع قدست من قبل الأنبياء والأوصياء الإلهيين، جاء الكاتب على ذكرها تحت مسمى «الأراضي ذات الدلالة»[1]

ومثلما أن الأنبياء والأوصياء، كانوا قد اجتبوا واصطفوا بصفة خاصة خارج جميع القواعد المألوفة بين البشرية، وأصبحوا في زمرة المجتبين والمختارين الخاصين من قبل الله، وهذا الإصطفاء والإنتخاب قدمهم كحجة ومثل أعلى للانسان المتدين، لهداية البشرية، فقد تم تقديس أراض ومواقع بصورة خاصة لتكون حجة لبني البشر ومكان لإجتماع المؤمنين وتقديس وتسبيح بارئ الكون وطريق سالك نحو السماوات. وهذا التقديس، يجعل بصفة خاصة، هذه المواقع بمنأى عن قرصنة الشياطين، وعائق أمام إنعدامها وتدميرها نهائيا. بحيث أن دلالة وأثر هذه المساجد المعظمة الثلاثة لم تمح أبدا من مشهد جغرافيا الأرض على امتداد ألوف السنين.

وبعد بناء «المسجد الحرام» على اليد المقدسة والطاهرة لملائكة الوحي، فقد أقيم هذا المسجد مرة أخرى على يد أحد الأنبياء الإلهيين أي النبي **آدم**عليه السلام في

---

١. راجع كتاب «بخت التراب» لمؤلف هذا الكتاب، وهو من سلسلة إصدارات موعود العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الموقع والأرض المقدسة الأولى، لكي يقوم بعد ذلك، آدمعليه السلام وأبناؤه المؤمنون بتسبيح خالق الكون والوجود في مكان طاهر ومقدس.

ويقول الله تعالى في كتابه المبين:

«إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا»[1]

و«الكعبة» في باحة «المسجد الحرام» هي أول بيت تبرك وأقيم من أجل عبادة المؤمنين وقيامهم بمناسكهم، ليستحقوا بعد القيام بالأعمال والواجبات الإيمانية، الثواب والأمان من العذاب.

ويستفاد من هذه الآية بان هذا البناء المقدس، قد بني بأمر من الله تعالى وعلى يد الملائكة المقربين. وتعكس الآية الشريفة **«ومَنْ دَخَلَهُ كانَ آمناً»**.[2] الحزام الأمني والحمائي السماوي والغيبي لله المتعال، إذ يحفظ ويحمي من يدخله في الدنيا والآخرة، بحيث أن هذا الأمن والأمان ينسحب على جميع الإنس وجملة الوحوش والطيور.

إن العين الظاهرة، قادرة فقط على مشاهدة المخاطر الظاهرة التي تشعر بها حواسنا، بينما ثمة عدد هائل من المخاطر والتهديدات التي لا نشعر بها وهي خافية على أعيننا (مثل الأجنة الشيطانية) المحيطة بالمؤمنين. إن بيت الله الآمن، يحفظ ويحمي جميع المؤمنين والداخلين في وقت الحضور من جميع التهديدات المشهودة والمخفية. وفي هذا الخصوص، وبعد هذا الكلام، يقال: إن شاء الله.

ويرى مؤلفو «التفسير النموذجي» أن النبي **آدم**عليه السلام هو من بنى الكعبة ويكتبون:

لقد كان أول بيت وضع لعبادة الله، فى أرض «مكة»، وبديهى ان عبادة الله لم تبدأ مع بناء مركز العبادة فى عهد النبى إبراهيمعليه السلام**، بل كانت قائمة منذ عصر النبى آدم**عليه السلام**. إن تعبير «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهيمُ الْقَواعِدَ مِنَ**

---

١. سورة آل عمران، الآية ٩٦.

٢. المصدر السابق، الآية ٩٧.

الْبَيْت»[1] لا تخلو من الإشـــارة إلى أن قواعـــد «الكعبة» كانت موجودة، والعمل الوحيد الذى قام به ابراهيم واسماعيل، تمثل فى أنهما رفعا قواعد هذا البيت المقدس.[2]

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَـــى بْن الْمُتَوَكِّل رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْد الله بْنُ جَعْفَر الْحمْيَرِىُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّد بْن عيسَـــى عَن الْحَسَن بْن مَحْبُوب عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْـــحَاقَ عَنْ أَبى جَعْفَر عَـــنْ آبَائه: أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جَبْرَئيلَ أَنَا اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحيمُ إِنِّى قَدْ رَحمْتُ آدَمَ وَ حَوَّاءَ لَمَّا شَكيَا إِلَىَّ مَا شَكيَا فَاهْبطْ عَلَيْهمَا بخَيْمَة منْ خيَم الْجَنَّة فَإِنِّى قَدْ رَحمْتُهُمَا لبُكَائهمَا وَ وَحْشَـــتهمَا وَ وَحْدَتهمَا فَاضْرب الْخَيْمَةَ عَلَى التُّرْعَة الَّتى بَيْنَ جَبَال مَكَّةَ قَالَ وَ التُّرْعَةُ مَكَانُ الْبَيْت وَ قَوَاعدُهُ الَّتى رَفَعَتْهَا الْمَلَائكَةُ قَبْلَ آدَمَ فَهَبطَ جَبْرَئيلُ عَلَى آدَمَ عليه السلام بالْخَيْمَة عَلَى مقْدَار مَكَان الْبَيْت وَ قَوَاعده فَنَصَبَهَـــا قَالَ وَ أَنْزَلَ جَبْرَئيلُ عليه السلام آدَمَ منَ الصَّفَا وَ أَنْزَلَ حَوَّاءَ منَ الْمَرْوَة وَ جَمَـــعَ بَيْنَهُمَا فى الْخَيْمَة قَالَ وَ كَانَ عَمُودُ الْخَيْمَة قَضيباً منْ يَاقُوت أَحْمَرَ فَأَضَـــاءَ نُورُهُ وَ ضَوْؤُهُ جبَالَ مَكَّةَ وَ مَا حَوْلَهَا قَالَ فَامْتَدَّ ضَوْءُ الْعَمُود فَهُوَ مَوَاضـــعُ الْحَرَم الْيَوْمَ منْ كُلِّ نَاحيَة منْ حَيْـــثُ بَلَغَ ضَوْؤُهُ قَالَ فَجَعَلَهُ اللهُ تَعَالَـــى حَرَماً لحُرْمَة الْخَيْمَة وَ الْعَمُود لأَنَّهُمَا منَ الْجَنَّة قَالَ وَ لذَلكَ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الْحَسَنَات فى الْحَرَم مُضَاعَفَات وَ السَّيِّئَات مُضَاعَفَةً قَالَ وَ مُدَّتْ أَطْنَابُ الْخَيْمَـــة حَوْلَهَا فَمُنْتَهَى أَوْتَادهَا مَا حَوْلَ الْمَسْـــجد الْحَرَام قَالَ وَ كَانَتْ أَوْتَادُهَا صَخْراً منْ عقْيَان الْجَنَّة وَ أَطْنَابُهَا منْ ضَفَائر الأُرْجُوَان قَالَ وَ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى جَبْرَئيلَ عليه السلام بَعْدَ ذَلكَ اهْبطْ عَلَى الْخَيْمَة بسَـــبْعينَ أَلْفَ مَلَك يَحْرُسُـــونَهَا منْ مَرَدَة الشَّيْطَان وَ يُؤْنسُونَ آدَمَ وَ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْخَيْمَة تَعْظيماً للْبَيْت وَ الْخَيْمَة قَالَ فَهَبطَ بالْمَلَائكَة فَكَانُوا بحَضْرَة الْخَيْمَة

---

١. سورة البقرة، الآية ١٢٧.

٢. «التفسير النموذجي»، ناصر مكارم شيرازي والزملاء، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٢، ج ١، ص ٣٣٠.

يَحْرُسُونَهَا مِنْ مَرَدَةِ الشَّيْطَانِ وَ يَطُوفُونَ حَوْلَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ وَ الْخَيْمَةِ كُلَّ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ كَمَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي السَّمَاءِ حَوْلَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ قَالَ وَ أَرْكَانُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي الأَرْضِ حِيَالَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام بَعْدَ ذَلِكَ أَنِ اهْبِطْ إِلَى آدَمَ وَ حَوَّاءَ فَنَحِّهِمَا عَنْ مَوْضِعِ قَوَاعِدِ بَيْتِي وَ ارْفَعْ قَوَاعِدَ بَيْتِي وَ لِمَلائِكَتِي [وَ] لِخَلْقِي مِنْ وُلْدِ آدَمَ فَهَبَطَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى آدَمَ وَ حَوَّاءَ فَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْخَيْمَةِ وَ نَحَّاهُمَا عَنْ تُرْعَةِ الْبَيْتِ وَ نَحَّى الْخَيْمَةَ عَنْ مَوْضِعِ التُّرْعَةِ قَالَ وَ وَضَعَ آدَمَ عَلَى الصَّفَا وَ حَوَّاءَ عَلَى الْمَرْوَةِ فَقَالَ آدَمُ عليه السلام يَا جَبْرَئِيلُ أَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى جَلَّ ذِكْرُهُ حَوَّلْتَنَا وَ فَرَّقْتَ بَيْنَنَا أَمْ بِرِضًى وَ تَقْدِيرٍ عَلَيْنَا فَقَالَ لَهُمَا لَمْ يَكُنْ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَلَيْكُمَا وَ لَكِنَّ اللهَ تَعَالَى لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ يَا آدَمُ إِنَّ السَّبعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَى الأَرْضِ لِيُؤْنِسُوكَ وَ يَطُوفُوا حَوْلَ أَرْكَانِ الْبَيْتِ وَ الْخَيْمَةِ سَأَلُوا اللهَ تَعَالَى أَنْ يَبْنِيَ لَهُمْ مَكَانَ الْخَيْمَةِ بَيْتاً عَلَى مَوْضِعِ التُّرْعَةِ الْمُبَارَكَةِ حِيَالَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَيَطُوفُونَ حَوْلَهُ كَمَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي السَّمَاءِ حَوْلَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ فَأَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَيَّ أَنْ أُنَحِّيَكَ وَ أَرْفَعَ الْخَيْمَةَ فَقَالَ آدَمُ عليه السلام رَضِينَا بِتَقْدِيرِ اللهِ تَعَالَى وَ نَافِذٍ أَمْرُهُ فِينَا فَرَفَعَ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِحَجَرٍ مِنَ الصَّفَا وَ حَجَرٍ مِنَ الْمَرْوَةِ وَ حَجَرٍ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وَ حَجَرٍ مِنْ جَبَلِ السَّلامِ وَ هُوَ ظَهْرُ الْكُوفَةِ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام أَنِ ابْنِهِ وَ أَتِمَّهُ فَاقْتَلَعَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام الأَحْجَارَ الأَرْبَعَةَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى مِنْ مَوَاضِعِهَا بِجَنَاحِهِ فَوَضَعَهَا حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي أَرْكَانِ الْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِهَا الَّتِي قَدَّرَهَا الْجَبَّارُ جَلَّ جَلالُهُ وَ نَصَبَ أَعْلامَهَا ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَى جَبْرَئِيلَ ابْنِهِ وَ أَتِمَّهُ مِنْ حِجَارَةِ أَبِي قُبَيْسٍ وَ اجْعَلْ لَهُ بَابَيْنِ بَاباً شَرْقاً وَ بَاباً غَرْباً قَالَ فَأَتَمَّهُ جَبْرَئِيلُ فَلَمَّا فَرَغَ طَافَتِ الْمَلائِكَةُ حَوْلَهُ فَلَمَّا نَظَرَ آدَمُ وَ حَوَّاءُ إِلَى الْمَلائِكَةِ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ انْطَلَقَا فَطَافَا

سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ثُمَّ خَرَجَا يَطْلُبَانِ مَا يَأْكُلانِ.[١]

الكعبة بعد آدم عليه السلام

أورد مؤلف «تاريخ الكعبة المعظمة»:[٢]

إن شيث كان أول من بنى «الكعبة»، وهذا يعنى أن أول بناء للكعبة بعد آدم عليه السلام من أبنائه، أنجز على يد شيث عليه السلام.

وجاء في «تاريخ الخميس»[٣]:

إن شيث عليه السلام إبن آدم عليه السلام كان أول من بنى الكعبة، لان «الكعبة» كانت قبل بنائه خيمة من الياقوت الاَحمر، التى طاف آدم حولها، واستأنس بها، لأن هذه الخيمة كانت قد هبطت له من الجنة، ومن ثم صعد بها ثانية إلى السماء، وإن آدم جاء من «الهند» إلى هناك للحج.

وبعد وفاة **آدم** عليه السلام بنيت الكعبة على يد ابنه **شيث** عليه السلام، لكن الأزرقي لم يصرح في تاريخه باسم شيث عليه السلام، بل جاء على ذكر ذلك تحت عنوان «أبناء آدم الذين بنوا الكعبة بعد آدم» وكان هذا البناء قائما حتى إندلا ع الطوفان.

وورد في «التفسير النموذجي» توضيحا للآية الكريمة «**وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهيمَ مَكانَ الْبَيْت**»:[٤]

إن القصد هو أن الله تعالى أظهر لإبراهيم عليه السلام مكان الكعبة التى كانت قد بنيت فى عهد آدم عليه السلام والتى دمرت خلال طوفان نوح ومحيت آثارها: فهب الطوفان وحرك التراب من مكانه، فبانت قواعد البيت، أو أن جاءت غيمة ألقت بظلالها على ذلك المكان، أو باى وسيلة أخرى، فان الله

---

١. إبن بابويه، علي بن محمد، «علل الشرائع»، ترجمة ذهني طهراني، قم، المؤمنون للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٨٠، ج ٢، صص ٣٥٧-٣٥٩.

٢. حسين بن عبد الله با سلامة، «تاريخ الكعبة المعظمة»، العمارة والكسوة والسدانة، الفجالة (مصر)، دار مصر للطباعة، ١٣٨٤ للهجرة.

٣. حسين بن محمد حسن ديار بكري، «تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس» دار الصادر، بيروت، ج ١

٤. سورة الحج، الآية ٢٦.

تعالـــى أظهر لإبراهيم عليه السلام المكان الاَصلى للبيت وهيأه له، إذ قام ابراهيم بمساعدة ابنه اسماعيل عليه السلام بتجديد ذلک البناء.[١]

ويذهب «تفسير مجمع البيان» إلى الشئ نفسه فيقول:

لم يكن إبراهيم يعرف أين يبنى الكعبة. فارســـل الله ريحا عاتية، رفعت التراب عن القواعد الرئيسية للكعبة والتى كانت قد دمرت خلال طوفان نوح، وبانت القواعد.[٢]

ويكتب الباحث في «تاريخ الاسلام» **محمد هادي يوسفي غروي** حول تاريخ «الكعبة»:

عندما جاء ايراهيم عليه السلام للمرة الثالثة لرؤية إســـماعيل عليه السلام وهاجر عليها السلام، كان اســـماعيل عليه السلام قد بلغ الحلم وأمر الله أن يبنى ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام الكعبة. فســـأل ابراهيم عليه السلام أين؟ فقال الله تعالى: فى الأَرض التى أنزلت فيها قببا من نور على آدم عليه السلام وأضأت له الحرم.[٣]

وقد أرسل الله جبرئيل وحدد له مكان «الكعبة» وجاء بقواعدها من الجنة، وجاء إسماعيل بأحجارها من جبل «الطور» وبنى النبى ابراهيم عليه السلام الكعبة ورفع جدرانها بقدر تسعة أذرع. وكانت القبب التى أنزلها الله على آدم عليه السلام أكثر بياضا من الثلج وأخرجها النبى ابراهيم عليه السلام من تحت الاَرض ونصبها فى موضع كان قد حدد من قبل.[٤]

ويكتب محمد هادي يوسفي غروي نقلا عن **علي بن ابراهيم القمي:**

قال الإمام الصـــادق عليه السلام، أن الكعبة كانت قبل طوفان نوح على هيئة قبة

---

١. «التفسير النموذجي»، ناصر مكارم شيرازي، ج ١٤، ص ٦٧.
٢. «مجمع البيان في تفسير القرآن»، فضل بن حسن الطبرسي، فراهاني، ١٣٥٠، ج ١٦، ص ٢٠٣.
٣. «التاريخ البحثي للاسلام»، محمد هادي يوسفي غروي، قم، مؤسسة الإمام الخميني(رض) التعليمية البحثية، ١٣٨٢، ج ١، ص ٧٦. [موسوعة القرآن: الكعبة ودراسة تاريخ بنائها في القرآن، سيد جلال امام، www.maarefquran.org].
٤. المصدر السابق.

بناها النبى آدم(ع) فى هذا الموضع. وقد جدد النبى ابراهيم(ع) بنائها.[١]

الكعبة منذ عصر النبي نوح(ع) حتى عصر النبي ابراهيم(ع)

ومع الرجوع إلى المراجع والمصادر، يمكن تتبع تاريخ تغير «الكعبة» و «المسجد الحرام» في خضم تقلبات عصيبة. وقد شهد بيت الله بعد النبي **آدم**(ع) وأبنائه وحتى عصر النبي **ابراهيم**(ع) أحداثا. ويكتب **علي بن حسين المسعودي:**

روى أن السفينة طافت بالبيت سبعة أشواط وسعت بين الصفا و المروة ثم استوت على الجودى فى اليوم السابع. و الجودى فرات الكوفة الموضع الذى منه بدأت فصار الطواف حول البيت سنة. و إنّما سمّى الطوفان لأن الماء طغى فوق كلّ شىء أربعين ذراعا و تصبب ماء الاَرض وبقى ماء السماء فصار بحرا حول الدنيا. فماء البحر من بقية ذلک الماء و هو ماء سخط. فخرج نوح(ع) و من معه من السفينة و عدّتهم ثمانية نفر.»[٢]

وقد تطرق أئمة الدين إلى قضايا ردا على الأسئلة التي طرحت بهذا الخصوص، فقد نقل يزيد المحاربي، عن أبي عبدالله(ع) قال:

«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَّلَ أَغْرَقَ الاَرْضَ كُلَّهَا يَوْمَ نُوح إلا الْبَيْتَ فَيَوْمَئذ سُمِّىَ الْعَتِيقَ لأَنَّهُ أُعْتِقَ يَوْمَئذ منَ الْغَرَق. » فَقُلْتُ لَهُ: أَصْعدَ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: « لَمْ يَصِلْ إِلَيْه الْمَاءُ وَ رُفِعَ عَنْهُ»[٣]

ونقل **أبو خديجة** عن أبي عبد الله(ع) قال:

«قُلْتُ لَهُ لمَ سُمِّىَ الْبَيْتُ الْعَتِيقَ قَالَ إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْزَلَ الْحَجَرَ الاَسْوَدَ لآدَمَ منَ الْجَنَّة وَ كَانَ الْبَيْتُ دُرَّةً بَيْضَاءَ فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَى السَّمَاء وَ بَقِىَ أُسُّهُ

---

١. المصدر السابق.

٢. «ترجمة إثبات الوصية»، علي بن حسين المسعودي، طهران، إسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٦٢، ص ٣٩.

٣. «علل الشرائع»، محمد بن علي بن بابويه، ترجمة ذهني طهراني، قم، المؤمنون للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٨٠، ج ٢، صص ٢٩١-٢٩٣.

فَهُوَ بحيَال هَذَا الْبَيْت يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَک يَرْجعُونَ إِلَيْه أَبَداً فَأَمَرَ اللهُ إِبْرَاهيمَ وَ إِسْمَاعيلَ يَبْنيَانِ عَلَى الْقَوَاعِد وَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتيقَ لأَنَّهُ أُعْتقَ منَ الْغَرَق.»

ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«كَانَ بَيْنَ نُوح عليه السلام وَ إِبْرَاهيمَ عليه السلام أَلْفُ سَنَة وَ كَانَتْ شَريعَةُ إِبْرَاهيمَ بالتَّوْحيد وَالْإِخْلَاص وَخَلْعِ الاَنْدَاد وَ هِيَ الْفطْرَةُ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.»[1]

وقال **ابن هشام:**

لم يكن بين نوح عليه السلام وابراهيم عليه السلام نبيا سوى هود وصالح، وكان بين ابراهيم وهود ٦٣٠ سنة وبين نوح وابراهيم ١١٤٣ سنة.[2]

وقال **الثعالبي** في هذا الشأن:

كان بين ولادة ابراهيم عليه السلام وطوفان نوح عليه السلام ١٢٦٣ سنة، وكانت هذه ٣٣٣٧ سنة بعد خلق آدم عليه السلام. وحصلت ولادة إبراهيم فى عهد نمرود بن كنعان، لكن ثمة اختلاف فى الرأى بشان مكان ولادته.

واعتبر **إبن عباس** أن مكان ولادة النبي **ابراهيم** عليه السلام كانت «بابل» من أراضي «السواد» بمدينة **نمرود.**[3]

لقد كان النبي إبراهيم خليل الله عليه السلام مجدد بناء «الكعبة» باذن الله وكان أبناؤه وذريته معمري هذا المكان المخصص للعبادة وأرض «مكة»، البناء والمدينة اللذان بقيا منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا، كجوهرة تتألق وتتلألأ في خاتم الأرض والسماء.

---

١. «مكارم الأخلاق»، حسين بن فضل الطبرسي، ترجمة ميرباقري، طهران، فراهاني، الطبعة الثانية، ١٣٦٥، ج ١، ص ١١٥.

٢. «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم»، ج ٢، ص ١٥٨.

٣. «الكعبة والمسجد الحرام على مر التاريخ»، المصدر السابق، صص ٨-٩.

زعيم الظلام، المُستنسِخ المكّار

إن العمر الطويل المصاحب للطيران جنبا إلى جنب الملائكة في العوالم القدسية، أتاح لإبليس أن يكتسب معرفة وعلما حول أشرف الكائنات أي الإنسان. فقد شهد تعليم الأسماء لآدمعليه السلام واطلع على إرادة الله المتعال بشأن خلافة الانسان في الأرض، وكان يعرف جيدا أنه بسبب التمازج بين العبادة وروح الإنسان، فانه غير قادر على فصل هذا الشئ الفطري عن الانسان، لذلك جعل إستنساخ العبادة والمعبد، يحل محل صرف أبناء آدم عن عبادة الله وزيارة المعابد الحقيقية.

وكان إبليس يرى هذه الجهوزية لدى الانسان، بانه ينخدع على إثر ارتكاب الذنوب والمعاصي والغفلة عن تعاليم الحجج الظاهرة والباطنة (الأنبياء والكتب السماوية والعقل الموهوب من الله)، فيجعل الباطل يحل محل الحق والمجاز محل الحقيقة البحتة. ولذلك، إنخرط في صناعة ومكيدة الإستنساخ. وحوّل عبادة الله الواحد الأحد نحوه وجعل المعبد يحل محل المسجد، لكي يحيد الإنسان عن جادة الحق ليميل إلى صراط الباطل، ويُشل عن السير نحو الوجهة الحقيقية والنهائية.

إن اختراق الحصن المنيع للانسان الذي تميل روحه نحو التوحيد بالفطرة، غير ممكن من دون إيجاد ثغرة وشق في جدرانه، لأنه طالما استقرت وهدأت

روح الانسان ونفسه في الحصن المنيع لولاية الله، فان إبليس وجنوده لن يكونوا قادرين على الوصول إلى تلك الجوهرة الفريدة ونهبها وسلبها.

إن كسب الأنصار والأتباع من الداخل، يفسح دائما المجال للخصم الخارجي، لينهمك من خلال فتح أبواب الحصن، بنهب الأموال وقتل سكان هذا الحصن. إن تدنيس نفس الانسان بالذنوب والمعاصي، شكّل طريقة خاصة ابتدعها ابليس لكي تفتح أمامه وأتباعه الأبواب الموصدة، لإنتزاع ونهب كل ما يملكه الانسان وما وهبه الله له.

وفي ذلك اليوم الذي، نال لعنة الله الأبدية، أقسم وقال:

«فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين»[١]

وفي ضوء معرفته بالانسان ومواهب الانسان وقدراته وما يملكه، فان كان يعلم بانه لن يتمكن من عباد الله المخلصين.

«إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين»[٢]

ولقد كان الإخلال في الإخلاص، المنفذ والسبيل الوحيد لإقتحام الحصن المنيع والإضرار بالانسان وإغوائه وإضلاله وحرفه عن الصراط الحق.

وعلى النقيض مما يظن البعض من أن الأمم اتخذت في مسار التاريخ ومن دون وعي الطاغوت والأصنام للعبادة بدلا من الحق، فانه يجب القول أن ما يؤدي إلى أن يشتبه الأمر على الانسان وينحرف بالتالي عن جادة الصواب والحق، هو ذنوبه والخلل الذي يحدث على إثر الإضطراب والتلوث في إخلاصه.

إن مصاديق التلوث والعصيان والتمرد عن أوامر ونواهي الله ليست متشابهة وثابتة بشان جميع الأناس، إن ما يؤدي إلى تحطم السد والجدار الواقي للناس العاديين والبسطاء، ليس مماثلا لما يؤدي إلى إخراج العلماء والعابدين عن الحصن المنيع للإخلاص.

---

١. سورة ص، الآية ٨٢.

٢. المصدر السابق، الآية ٨٣.

وعندما قال **ابليس** لله المتعال:

«رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الاَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين»[1]

كان يعلم جيدا أن أيا من الأناس وحسب مقامهم وشأنهم ومنزلتهم ونسبة فضيلتهم، ينظرون إلى وجه من أوجه زينة الدنيا، لذلك فان هذا التزيين يمكن أن يحدث بالف وجه. وبلا شك، فان ما يؤدي إلى إنخداع العوام، لا يمس الخواص، لكن عندما يبقى الخواص من أهل الفضل والعلم والعبادة، خارج حصن الإخلاص، فانهم سيكونون معرضين للضرر بشدة.

إن الشيطان يطمع بالجميع ويبقى على أمل الإغواء في قلبه. لكن إغواء المخلصين لا أثر له بسبب العناية الإلهية. ولذلك نرى أن الإمام المعصوم الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«رَبِّ لا تَكلْنِى إِلَى نَفْسِى طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدا.»[2]

إن جميع الأمم وبين عامة الحضارات والثقافات المدنسة بالشرك، كانت قد خرجت من نطاق حصن العبودية قبل أن تسجد على عتبة الآلهة والاساطير والأصنام، وأصيبت بالشرك وعبادة الأوثان والذنوب متأثرة بذلك بإغواء الشياطين لها، لا أن تكون أصيبت بالشبهة وهي في كامل عقلها وصحتها وسلامتها وأن تجعل الباطل يحل محل الحق إمتثالا واتباعا للشياطين.

وتعريفا للحصن المنيع في كلمة لا إله إلا الله، نقل عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله:

«كَلِمَةُ لا إِلَه إِلا اللهُ حِصْنِى فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى.»[3]

والعذاب الإلهي الذي وُعد به، هو نتيجة الواقعة التي تقع من جراء الخروج من الحصن. فالخارجين عن هذا الحصن، هم من المنخدعين بإغواء الشياطين.

---

١. سورة الحجر، الآية ٣٩.

٢. «الكافي»، محمد بن يعقوب الكليني، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٩، ج ٤، ص ٥٥٢.

٣. «الأمالي»، محمد بن علي بن بابويه، طهران، كتابجي، الطبعة السادسة، ١٣٧٦، ص ٢٣٥.

فابليس يتربص كالصياد، وبمجرد خروج أحد سكان الحصن، يصطاده، وإلا فان الشيطان وأتباعه، لا تتاح لهم إمكانية ومجال الدخول إلى هذا الحصن أصلا. فالذنوب والدنس، تؤدي بداية وعلى مراحل ومراتب مختلفة إلى إزالة ورفع الجدران الواقية للانسان ووقوعه في فخ ابليس المتربص به. ولذلك أقول، إن أحد المفاهيم التي هي محط الإهتمام حول البقاء في مأمن عن العذاب الإلهي يتمثل في السكن والإقامة في الحصن المنيع لكلمة التوحيد بمنأى ومأمن عن إغواء الشياطين، لان العذاب، هو الحصيلة النهائية للإمتثال والإنصياع لأوامر الشياطين والإنزلاق في براثن السيئات.

المعبد بدلا من المسجد (أول بيت للنار المقدسة، أول معبد)

وبالرغم من أن ابليس وبعد أن طرد من رحمة الله، كان يمني النفس باستخدام «استراتيجية الإستنساخ» بشأن النبي **آدم**عليه السلام، ليخرجه من حصن التوحيد وينقله من المسجد إلى المعبد، لكن إنابة وبكاء ونحيب النبي آدمعليه السلام أدى إلى إفشال حيلة ابليس، ورغم ذلك فان ابليس لم يتوان عن بذل أي جهد واستهدف ابناء آدمعليه السلام و**حواء**عليها السلام وترصد الفرص ونصب كمينا، ليطلق في أول فرصة سهمه ليصيب الهدف، والمؤسف أن ذلك قد حدث.

إن موضوع القربان الذي قدمه هابيل وقابيل إلى الله تعالى، كان بمثابة اختبار صعب، لكي يُعرف مَن مِن هذين الإثنين من أبناء آدم سيخرج من الحصن المنيع ويصبح لقمة سائغة للخصم المتربص أي ابليس.

فقد قدم هابيل، أخلص وأفضل ما يملكه لله المتعال:

«فَقَرَّبَ هَابِيلُ كَبْشـــاً مِنْ أَفَاضِلِ غَنَمِه وَ قَرَّبَ قَابِيلُ مِنْ زَرْعِه مَا لَمْ يُنَقَّ فَتُقُبِّلَ قُرْبَانُ هَابِيلَ وَ لَم يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُ قَابِيل.»[1]

---

١. «الكافي»، محمد بن يعقوب الكليني، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧، ج ٨، ص ١١٣.

وكأن الله تعالى ارد أن يظهر:

«لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّاتُحِبُّونَ وَ ماتُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ فَإِن اللهَ بِهِ عَليم»[١]

إن **قابيل** وبدلا من مراجعة عمله واتباع سنة أبيه، ألقى بنفسه في بئر **ابليس.** ويقول القرآن الكريم حول الجريمة التي اقترفها قابيل بحق أخيه المخلص:

«فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسرين»[٢]

«فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الاَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْأَةَ أَخيه قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْأَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النّادمينَ»[٣]

«... فَلَمّا رَجَعَ قَابِيلُ إِلَى آدَمَ عليه السلام قَال لَهُ يَا قَابِيلُ أَيْنَ هَابِيلُ فَقَالَ اطْلُبْهُ حَيثُ قَرَّبْنَا الْقُرْبَان ...»[٤]

إن ما تسبب في خروج قابيل من حصن التوحيد وولاية الله المتعال، وأن يصبح في طرفة عين فريسة ابليس، هو التكبر والحسد. إن ثمة نجاسة أخلاقية تؤدي إلى حرمان الانسان من الفلاح والوقوع في فخ ابليس. ويقول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَاعْتَمدُوا وَضْعَ التَّذَلُّل عَلَى رُوءُوسكُمْ وَ إِلْقَاءَ التَّعَزُّز تَحْتَ أَقْدَامكُمْ وَخَلْعَ التَّكَبُّر مِنْ أَعْنَاقكُمْ وَ اتَّخذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْليسَ وَ جُنُوده فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّة جُنُوداً وَ أَعْوَاناً وَ رَجلا [رجْلاً] وَفُرْسَاناً وَ تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّر عَلَى ابْنِ أُمِّه مِنْ غَيْر مَا فَضْل جَعَلَهُ اللهُ فيه سَوَى مَا أَلْحَقَت الْعَظَمَةُ بِنَفْسه مِنْ عَدَاوَة الْحَسَد [الْحَسَب] وَ قَدَحَت الْحَميَّةُ فِى قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَ نَفَخَ الشَّيطَانُ فِى أَنْفه مِنْ رِيحِ الْكبْرِ

---

١. سورة آل عمران، الآية ٩٢.
٢. سورة المائدة، الآية ٣٠.
٣. المصدر السابق، الآية ٣١.
٤. «الروضة من الكافي»، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ١٦٣.

الَّذى أَعْقَبَهُ اللهُ به النَّدَامَةَ وَ أَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتلينَ إِلَى يَوْمِ الْقيَامَة»[١]

إن ابليس ومن أجل خداع وإغواء قابيل، إستغل تكبره وحسده النفسي وأرغمه على قتل أخيه، لكنه لم يكتف بهذا. فقد ألقى بحبل على عنق قابيل، كان يستطيع بواسطته إرغامه على ارتكاب جرائم الواحدة تلو الاخرى، لا بل أن يجعل منه مصدرا لتأسيس بدعة جديدة في الحقل الثقافي والمادي للانسان، الواقعة التي وقعت وأرست المعابد الشيطانية والثقافة المعبدية.

وتشهد المصادر الوحيانية، إن النبي **شيث**عليه السلام كان بعد **هابيل**عليه السلام وصي وخليفة النبي **آدم**عليه السلام. ويقول الإمام الباقرعليه السلام بهذا الخصوص:

«ثُمَّ إِنَّ هبَةَ الله لَمَّا دَفَنَ آدَمَ أَبَاهُ أَتَاهُ قَابيلُ فَقَالَ لَهُ يَا هبَةَ الله إِنِّى قَدْ رَأَيْتُ آدَمَ أَبى خَصَّكَ منَ الْعلْمِ بمَا لَمْ أُخَصَّ به وَ هُوَ الْعلْمُ الَّذى دَعَا به أَخُوكَ هَابيلُ فَتُقُبِّلَ قُرْبَانُهُ وَ إِنَّمَا قَتَلْتُهُ لكَىْ يَكُونَ لَهُ عَقبٌ فَيَفْتَخرُونَ عَلَى عَقبى فَيَقُولُونَ نَحْنُ أَبْنَاءُ الَّذى تُقُبِّلَ قُرْبَانُهُ وَ أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الَّذى لَمْ يُتَقَبَّلْ قُرْبَانُهُ فَإِنّكَ إِنْ أَظْهَرْتَ منَ الْعلْمِ الَّذى اخْتَصَّكَ به أَبُوكَ شَيْئاً قَتَلْتُكَ كَمَا قَتَلْتُ أَخَاكَ هَابيلَ فَلَبثَ هبَةُ الله وَ الْعَقبُ منْهُ مُسْتخْفينَ بمَا عنْدَهُم منَ الْعلْمِ وَ الْإيمَانِ وَالإسْلَامِ الاَكْبَرِ وَ ميرَاثِ الْعلْمِ وَ آثَارِ عِلْمِ النُّبُوَّةِ حَتَّى بُعِثَ نُوح... .»[٢]

كما روي:

«و رُوِىَ ان اسم ريسان أنوش، فأخبره و سلم إليه التابوت و مواريث الاَنبياء و أمره بمثل ما كان آدم عليه السّلام اوصى به إليه، و قال له: إن أدركت نبوة نوح فسلم إليه العلم و ما فى يديک. و استخفت الامامة و جميع المؤمنين خوفا من قابيل وولده يتوقعون من قيام نوحعليه السلام **و مضى**

١. «نهج البلاغة»، محمد بن حسين الشريف الرضي، ترجمة دشتي، قم، الطبعة الاولى، ١٣٧٩، ص ٣٨٥.
٢. «كمال الدين وتمام النعمة»، محمد بن علي بن بابويه، طهران، علمية اسلامية للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٧٧، ج ١، ص ٣٢٢.

هبة الله و استخلف ريسان... .»[1]

وكأن جميع مواريث الشيطان، انتقلت إلى قابيل وأبنائه، مثلما أن جميع مواريث النبي **آدم**عليه السلام انتقلت إلى وصيه وخليفته النبي **شيث**عليه السلام.

وورد في الروايات أن النبي شيثعليه السلام الذي أصبح وصي أبيه آدمعليه السلام، سلم أمر الوصاية إلى إبنه **أنوش**.[2] كما أنه نقل إلى ابنه الإسم الأعظم لله وميراث وعلم الأب وبقيت هذه الأمور خافية على **قابيل** وأنصاره حتى وقت ظهور النبي **نوح**عليه السلام.[3] وقد انتقل قابيل إلى جهنم في عهد ابن أنوش.[4]

ويمكن تقديم قابيل على أنه أول عابد للشيطان وأول من بنى المعبد تحت أمر ابليس. وبعده سار بنو قابيل على خطى أبيهم. وأضافوا إلى البدع وتأسيا بابليس اتخذوا من السحر وسيلة لفرض سلطتهم ودنسوا الأرض بواسطة تمردهم.

ونقل **قتادة** عن الإمام الصادقعليه السلام قوله:

«لَمَّا هَبَطَ إبْلِيسُ قَالَ آدَمُ أَىْ رَبِّ قَدْ لَعَنْتُهُ فَمَا عِلْمُهُ قَالَ السِّــحرُ قَالَ فَمَا قِرَاءَتُهُ قَالَ الشِّــعْرُ قَالَ فَمَا كِتَابَتُهُ قَالَ الْوَشْمُ قَالَ فَمَا طَعَامُهُ قَالَ كُلُّ مَيْتَة وَ مَا لَمْ يُذْكَر اسْمُ الله عَلَيْه قَالَ فَمَا شَرَابُهُ قَالَ كُلُّ مُسْكِر قَالَ فَأَيْنَ مَسْكَنُهُ قَالَ الْحَمَّامُ قَالَ فَأَيْنَ مَجْلِسُهُ قَالَ الاَسْوَاقُ قَالَ فَمَا صَوْتُهُ قَالَ الْمِزْمَارُ قَالَ فَمَا مَصَايِدُهُ قَالَ النِّسَاء.»[5]

ويكتب **المسعودي** حول **بيوراسب** الذي كان أحد أبناء قابيل واعتلى العرش لمدة طويلة:

كان بيوراســب يعمل بواسطة الســحر وكان يتمرد ويعصى فى الاَرض، وعندما يكان ينوى القيام بأمر بشــأن مملكته، كان ينفخ فى الشــبّورى

---

١. «ترجمة إثبات الوصية»، علي بن حسين المسعودي، طهران، إسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٦٢، صص ٢٣-٢٤.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.
٤. المصدر السابق.
٥. ترجمة كتاب «السماء والعالم»، «بحار الأنوار»، محمد باقر المجلسي، ج ٥٤، طهران، الطبعة الاولى، ١٣٥١، ج ٧، ص ٢١٩.

(البوق) المصنوع من الذهب، وبذلک کانوا یحضرون إلیه ما کان یطلبه ولهذا السبب فان الیهود ینفخون فی الشبّور.[١]

وقد روج **ابلیس** للسحر بین أبناء قابیل لیوجد ثغرة وهوة في عمل الانسان بجانب المعابد، ویمنعه من العبودیة والسیر على الطریق الإلهي والرحماني.

وخلال دراسة التاریخ الثقافي لقبیلة اللعنة، لابد من رصد وتتبع المنعطفات التي حدثت في تاریخ سکنى الانسان في الأرض.

دیمومة ذریة آدم علیه السلام وسلالة الأنبیاء

واحترازا للإستناد إلى الظنون والأوهام الاسطوریة حول استمرار ودیمومة التوالد بین أبناء النبي **آدم** علیه السلام نعود مرة ثانیة إلى کلام الأولیاء الإلهیین من بین المعصومین. وفي هذا الخصوص سئل الامام الصادق علیه السلام:

سُئِلَ أَبُوعَبْدالله علیه السلام عَنْ بَدْءِ النَّسْلِ منْ آدَمَ کَیْفَ کَانَ وَ عَنْ بَدْءِ النَّسْلِ منْ ذُرِّیَّةِ آدَمَ. فَإِنَّ أُنَاساً عِنْدَنَا یَقُولُونَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَّلَ أَوْحَى إِلَى آدَمَ أَنْ یُزَوِّجَ بَنَاتِه بِبَنِیه وَ أَنَّ هَذا الْخَلْقَ کُلَّهُ أَصْلُهُ منَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَات. فَقَالَ أَبُوعَبْدالله علیه السلام: «تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلکَ عُلُوّاً کَبِیراً یَقُولُ مَنْ قَالَ هَذَا بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ صَفْوَةَ خَلْقِه وَ أَحِبَّاءَهُ وَ أَنْبِیَاءَهُ وَ رُسُلَهُ وَ الْمُؤْمنینَ وَ الْمُؤْمنَات وَ الْمُسْلمینَ وَ الْمُسْلمَات منْ حَرَام وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ منَ الْقُدْرَة مَا یَخْلُقُهُمْ منْ حَلَال وَ قَدْ أَخَذَ میثَاقَهُمْ عَلَى الْحَلَال الطُّهْر الطَّاهر الطَّیِّب فَوَ اللهِ لَقَدْ تَبَیَّنْتُ أَنَّ بَعْضَ الْبَهَائم تَنَکَّرَتْ لَهُ أُخْتُهُ فَلَمَّا نَزَا عَلَیْهَا وَ نَزَلَ کُشِفَ لَهُ عَنْهَا فَلَمَّا عَلمَ أَنَّهَا أُخْتُهُ أَخْرَجَ غُرْمُولَهُ ثُمَّ قَبَضَ عَلَیْه بِأَسْنَانه حَتَّى قَطَعَهُ فَخَرَّ مَیِّتاً وَ آخَرَ تَنَکَّرَتْ لَهُ أُمُّهُ فَفَعَلَ هَذَا بعَیْنه فَکَیْفَ الْإِنْسَانُ فی إِنْسیَّته وَ فَضْله وَ علْمه غَیْرَ أَنَّ جیلا منْ هَذَا الْخَلْق الَّذی تَرَوْنَ رَغبُوا عَنْ عِلْمِ أَهْلِ بُیُوتَاتِ أَنْبِیَائه وَأَخَذُوا منْ حَیْثُ لَمْ یُؤْمَرُوا بِأَخْذه فَصَارُوا

١. «ترجمة إثبات الوصیة»، المصدر السابق، صص ١٦-١٧.

إِلَى مَا قَدْ تَرَوْنَ مِنَ الضَّلَالِ وَ الْجَهْلِ بِالْعِلْمِ كَيْفَ كَانَتِ الاَشْيَاءُ الْمَاضِيَةُ مِنْ بَدْءِ أَنْ خَلَقَ اللهُ مَا خَلَقَ وَ مَا هُوَ كَائِنٌ أَبَداً ثُمَّ قَالَ وَيْحَ هَؤلاءِ أَيْنَ هُمْ عَمَّا لَمْ يَخْتَلِفْ فيه فُقَهَاءُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَ فُقَهَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَمَرَ الْقَلَمَ فَجَرَى عَلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفَيْ عَامٍ وَ أَنَّ كُتُبَ اللهِ كُلَّهَا فِيمَا جَرَى فيه الْقَلَمُ فِي كُلِّهَا تَحْرِيمُ الاَخَوَاتِ عَلَى الْإِخْوَةِ مَعَ مَا حُرِّمَ وَ هَذَا نَحْنُ قَدْ نَرَى مِنْهَا هَذِهِ الْكُتُبَ الاَرْبَعَةَ الْمَشْهُورَةَ

فِي هَذَا الْعَالَمِ التَّوْرَاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ الزَّبُورَ وَ الْفُرْقَانَ أَنْزَلَهَا اللهُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَلَى رُسُلِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْهَا التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى عليه السلام وَ الزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ عليه السلام وَ الْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى عليه السلام وَالْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَ عَلَى النَّبِيِّينَ : وَ لَيْسَ فِيهَا تَحْلِيلُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَقّاً أَقُولُ مَا أَرَادَ مَنْ يَقُولُ هَذَا وَ شِبْهَهُ إِلا تَقْوِيَةَ حُجَجِ الْمَجُوسِ فَمَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ. » ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا كَيْفَ كَانَ بَدْءُ النَّسْلِ مِنْ آدَمَ وَ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ النَّسْلِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَقَالَ: «إِنَّ آدَمَ عليه السلام وُلِدَ لَهُ سَبعُونَ بَطْناً فِي كُلِّ بَطْنٍ غُلامَ وَجَارِيَةٌ إِلَى أَنْ قُتِلَ هَابِيلُ فَلَمَّا قَتَلَ قَابِيلُ هَابِيلَ جَزِعَ آدَمُ عَلَى هَابِيلَ جَزَعاً قَطَعَهُ عَنْ إِتْيَانِ النِّسَاءِ فَبَقِيَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغْشَى حَوَّاءَ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ ثُمَّ تَخَلَّى مَا بِهِ مِنَ الْجَزَعِ عَلَيْهِ فَغَشِيَ حَوَّاءَ فَوَهَبَ اللهُ لَهُ شَيْثاً وَحْدَهُ لَيْسَ مَعَهُ ثَانٍ وَ اسْمُ شَيْثٍ هِبَةُ اللهِ وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أُوصِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ فِي الاَرْضِ ثُمَّ وُلِدَ لَهُ مِنْ بَعْدِ شَيْثٍ يَافِثُ لَيْسَ مَعَهُ ثَانٍ فَلَمَّا أَدْرَكَا وَ أَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُبْلِغَ بِالنَّسْلِ مَا تَرَوْنَ وَ أَنْ يَكُونَ مَا قَدْ جَرَى بِهِ الْقَلَمُ مِنْ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَ الاَخَوَاتِ عَلَى الْإِخْوَةِ أَنْزَلَ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ حَوْرَاءَ مِنَ الْجَنَّةِ اسْمُهَا نَزْلَةُ فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ آدَمَ أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْ شَيْثٍ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ ثُمَّ أَنْزَلَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنَ الْغَدِ حَوْرَاءَ مِنَ الْجَنَّةِ اسْمُهَا مَنْزِلَةُ فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ أَنْ يُزَوِّجَهَا مِنْ يَافِثَ فَزَوَّجَهَا

منْهُ فَوُلدَ لشَـــيْث غُلام وَ وُلدَتْ ليَافثَ جَارِيَةٌ فَأَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ آدَمَ حينَ أَدْرَكَا أَنْ يُزَوِّجَ بِنْتَ يَافثَ من ابْن شَيْث فَفَعَلَ فَوُلدَ الصَّفْوَةُ منَ النَّبِيِّينَ وَ الْمُرْسَلينَ منْ نَسْلهمَا وَ مَعَاذَ الله أَنْ يَكُونَ ذَلكَ عَلَى مَا قَالُوا منَ الْإِخْوَة وَ الأَخَـــوَات. («علل الشّرايع »، محمّدبن على بن بابويه، ترجمة ذهنى تهرانى، قم، مؤمنين للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٨٠هـ .ش.، ج ١، صص ٨١ ٨٥).[١]

وروى **مقاتل بن سليمان** عن الإمام الصادق عليه السلام:

«عَنْ مُقَاتل بن سُلَيْمَان بْن دُوَالَ دُوزَ عَنْ أَبى عَبْدالله عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله أَنَا سَـــيِّدُ النَّبِيِّينَ وَوَصىٌّ سَيِّد الْوَصيِّينَ وَأَوْصيَاؤُهُ سَادَةُ الأَوْصيَاء إِنَّ آدَمَ عليه السلام سَـــأَلَ اللهَ عَـــزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَصيّـــاً صَالحاً فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْه أَنِّى أَكْرَمْتُ الأَنْبيَاءَ بالنُّبُوَّة ثُمَّ اخْتَرْتُ خَلْقى فَجَعَلْتُ خيَارَهُمُ الأَوْصيَاءَ فَقَالَ آدَمُ عليه السلام يَـــا رَبِّ فَاجْعَلْ وَصيِّى خَيْرَ الأَوْصيَاء فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْه يَا آدَمُ أَوْص إِلَى شَـــيْث وَ هُوَ هبَةُ الله بْنُ آدَمَ فَأَوْصَى آدَمُ إِلَى شَـــيث وَ أَوْصَى شَيْثٌ إِلَى ابْنه شَـــبَّانَ وَ هُوَ ابْنُ نَزْلَةَ الْحَوْرَاء[٢] الَّتى أَنْزَلَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى آدَمَ منَ الْجَنَّة فَزَوَّجَهَا شَـــيْثاً وَ أَوْصَى شَبَّانُ إِلَى ابْنه مجلث وَ أَوْصَى مجلث إِلَى محوق وَأَوْصَى محوق إِلَى غثميشـــا وَ أَوْصَى غثميشا إِلَى أَخْنُوخَ وَ هُوَ إِدْريسُ النَّبِىُّ عليه السلام وَ أَوْصَى إِدْريسُ إِلَى ناخور وَ دَفَعَهَا ناخور إِلَى نُوح عليه السلام وَ أَوْصَى نُوحٌ إِلَى سَام وَ أَوْصَى سَامٌ إِلَى عثامر وَ أَوْصَى عَثَامرُ إِلَى بَرْعَيْثَاشَـــا وَ أَوْصَى بَرْعَيْثَاشَا إِلَى يَافثَ وَ أَوْصَى يَافثُ إِلَى برَّةَ وَ أَوْصَى برَّةُ إِلَى جَفيسَـــةَ[٣] وَ أَوْصَى جَفيسَةُ إِلَى عِمْرَانَ وَ دَفَعَهَا عِمْرَانُ إِلَى إِبْرَاهيمَ الْخَليل عليه السلام وَ أَوْصَى إِبْرَاهيمُ إِلَى ابْنه

---

١. وورد في بعض الروايات أن آدم عليه السلام بكى لاربعين صباحا بعد مقتل هابيل، وفي البعض الاخر اربعين صباحا ومساء، ويبدو أن مضمون هاتين الروايتين هو أقرب إلى الصواب.

٢. وفي بعض النسخ، هو ابن له من الحوراء.

٣. وفي بعض النسخ والفقيه، جفسية.

إِسْمَاعِيلَ وَ أَوْصَى إِسْمَاعِيلُ إِلَى إِسْحَاقَ وَ أَوْصَى إِسْحَاقُ إِلَى يَعْقُوبَ وَ أَوْصَى يَعْقُوبُ إِلَى يُوسُفَ وَ أَوْصَى يُوسُفُ إِلَى بَثْرِيَاءَ وَ أَوْصَى بَثْرِيَاءُ إِلَى شُعَيْبٍ وَ أَوْصَى شُعَيْبٌ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ وَ أَوْصَى مُوسَى إِلَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَ أَوْصَى يُوشَعُ إِلَى دَاوُدَ وَ أَوْصَى دَاوُدُ إِلَى سُلَيْمَانَ وَ أَوْصَى سُلَيْمَانُ إِلَى آصَفَ بْنِ بَرْخِيَا وَ أَوْصَى آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا إِلَى زَكَرِيَّا وَ دَفَعَهَا زَكَرِيَّا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام وَ أَوْصَى عِيسَى إِلَى شَمْعُونَ بْنِ حَمُّونَ الصَّفَا وَ أَوْصَى شَمْعُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَ أَوْصَى يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا إِلَى مُنْذِرٍ وَ أَوْصَى مُنْذِرٌ إِلَى سُلَيْمَةَ وَ أَوْصَى سُلَيْمَةُ إِلَى بُرْدَةَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَ دَفَعَهَا إِلَيَّ بُرْدَةُ وَ أَنَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا عَلِيُّ وَ أَنْتَ تَدْفَعُهَا إِلَى وَصِيِّكَ وَ يَدْفَعُهَا وَصِيُّكَ إِلَى أَوْصِيَائِكَ مِنْ وُلْدِكَ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَكَ وَ لَتَكْفُرُنَّ بِكَ الْأُمَّةُ وَ لَتَخْتَلِفُنَّ عَلَيْكَ اخْتِلَافاً شَدِيداً الثَّابِتُ عَلَيْكَ كَالْمُقِيمِ مَعِي وَالشَّاذُّ عَنْكَ فِي النَّارِ وَ النَّارُ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ.»[1]

الأمة الواحدة

وتفيد مجمل آيات الكتب المقدسة أن «قبيلة الرحمة» وبجوار مجمل الثقافات والحضارات، كانت تمضي قدما نحو الوجهة النهائية، وكانت حسب التكليف السماوي، تذكّر سكان الحضارات المختلفة بالسير على الصراط المستقيم الذي يرتضيه الله تعالى، بحيث أن الأرض لا تبقى أبدا خالية من الحجة وألا يسبق حضور وحركة الانسان في التاريخ وميلاد الحضارة والثقافة، حضور الحجة والمربي والمعلم السماوي. وعلى العكس، فان بعثة الأنبياء بهدف هداية الناس، سبقت مشيهم وسيرهم في الأرض.

---

١. «كمال الدين وتمام النعمة»، محمد بن علي بن بابويه، ترجمة بهلوان، قم، دار الحديث، الطبعة الاولى، ١٣٨٠، ج ١، صص ٤٠١-٤٠٣.

وفي مستهل التاريخ، كان الناس يعيشون كأمة واحدة. وكان بارئ الكون والوجود يريد كذلك أن يسير الناس في الأرض على هيئة أمة واحدة، وأن ينفصلوا عن الخصلة الشيطانية من خلال الإبتعاد عن الاستكبار، وأن يسلكوا السير الكمالي حتى بلوغ مقام القرب الإلهي وتجربة الكمالات.

وفي الأدب الديني، فان لفظة «الأمة» تطلق على الجماعة التي تملك دينا واحدا، بحيث قال سبحانه وتعالى:

«إِنَّ هذِه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون»[1]

ووردت «الأمة الواحدة» في تسع آيات من القرآن الكريم. فمجموعة من هذه الآيات، تتوجه إلى الأنبياء الإلهيين وبمثابة أوامر لهم لتشكيل الأمة الواحدة، وبعبارة أخرى، فان إحدى حكم إرسال الأنبياء وإنزال الكتب السماوية تتمثل في هداية وتوجيه الناس للوصول إلى الأمة الواحدة. وبلا شك فان أرضية وفرصة هذا الأمر متوفرة لدى جميع الأناس، لان جوهر الانسان وفطرته الإلهية الموحدة، تنطوي على مقتضى الحركة نحو تحقيق الأمة الواحدة.

إن الإختلاف هو نتيجة إختلاط وإنتقاء الحق والباطل (من علم أو دون علم)، وإن زوال العقبات واتفاق الناس على التوجهات، يؤدي إلى توحد الأسلوب والنهج وهو ما أشير إليه في الآية السابقة.

ومجموعة أخرى من هذه الآيات، تنفي أي نوع من المشيئة الجبرية الإلهية للوصول إلى الأمة الواحدة، بعبارة أخرى، فان الله تعالى وتزامنا مع منح الإختيار والحرية للانسان، جعله جاهزا للهبوط في أرض الأمة الواحدة، لكن هذا يجب أن يحدث من خلال إنتخاب واختيار الانسان ذاته، وإلا فانه ليس من الصعب بمكان لله تعالى أن يزيل في طرفة عين جميع الخلافات بين الناس ويجعلهم متفقين وموحدين في الرأي، بحيث قال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

«وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لايَزالُونَ مُخْتَلِفين إِلاَّ مَنْ رَحِمَ

١. سورة الأنبياء، الآية ٩٢.

رَبُّک»[1]

ويرى المغفور له **العلامة طباطبائي** في «تفسير الميزان» ان المراد من الوحدة والإختلاف هو الوحدة والإختلاف في الدين.[2]

كما يقول الله عز وجل:

«وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فی رَحْمَتِه وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا نَصیر»[3]

وحسب السنة الإلهية، فان الانسان خلق حرا لكي يختار طريقه، لكن قوة الإختيار والحرية هذه هي بمثابة اختبار وامتحان لكي يثبت الانسان موقعه إما في قبيلة الظالمين أو من تنالهم الرحمة الإلهية. وعندها سيرى نفسه إما في جموع الصالحين من أصحاب الجنة أو الفاسقين من أصحاب النار، كنتيجة لسيره في جادة الرحمة أو اللعنة.

«وَ لَوْ شاء اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فی ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَی الله...»[4]

بداية إنزال الشرائع

وحتى ذلك الزمن الذي كان يعيش فيه الناس على هيئة أمة واحدة ولم ينقسموا إلى مجموعتي المستضعفين والمستكبرين، فان الشريعة لم تكن موجودة بصورة قوانين مفصلة، وكانت نبوة الأنبياء على شكل نبوة التبيان أكثر منها من نبوة التشريع.

إن العلاقات في الأمة الواحدة، كانت تدور حول مدار التوحيد في مستهل

---

١. سورة هود، الآيتان ١٨ و ١١٩.

٢. «تفسير الميزان»، العلامة محمد حسين طباطبائي، مؤسسة اسماعيليان للاعلام والطباعة، ١٣٩٤، ج ١١، ص ٦٥.

٣. سورة الشورى، الآية ٨.

٤. سورة المائدة، الآية ٤٨.

التاريخ، وكان الناس متحابين متجانسين، ولم ينقسموا إلى مجموعتي المستكبر والمستضعف المتخاصمتين، لكن التوحيد رحل شيئا فشيئا عن الناس وظهر المستكبرون والمستعمرون في التاريخ وأرسوا بدعا جائرة. ومن ثم حوّلوا هذه الأساليب الظالمة إلى قانون وأسسوا تدريجيا تنظيمات إدارية وقضائية وعسكرية قمعية، وتحوّلوا لاحقا إلى حكومات ودول تابعة للأشراف والنبلاء والأثرياء. وفي هذا الموقف، بعث الأنبياء لتحرير المستضعفين وإنقاذهم من نير المستكبرين ولينشروا القسط والعدل في الأرض.[١]

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»[٢]

وجلي أنه في هذا المقام، كانت ثمة حاجة للأحكام التفصيلية للشرائع، لتستقر على أساسها العلاقات المبنية على القسط والعدل. ونسب «القرآن الكريم» أول شريعة إلى النبي **نوح**عليه السلام.

«شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ»[٣]

«وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ»[٤]

«فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

---

١. «نظرة مجددة على مبادئ الحكمة الإنسية»، سيد عباس معارف، طهران، رايزن للنشر، ١٣٨٠، ص ٩٩.
٢. سورة الحديد، الآية ٢٥.
٣. سورة الشورى، الآية ١٣.
٤. سورة الشورى، الآية ١٤.

أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»[1]

وفي الحقبة ما بين **آدم** و**نوح** (**شيث** و**إدريس** و...) كان الناس يعيشون كأمة واحدة ولم يدب الإختصام بين المستضعفين والمستكبرين، ولذلك لم تكن ثمة حاجة لأحكام تفصيلية فيما يخص القضايا المدنية والجزائية وتنظيم العلاقات السياسية والاقتصادية، بحيث ورد في كلام الله المجيد:[2]

«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ * يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ»[3]

وكان النبي آدم عليه السلام أول أنبياء أولي العزم ومن كبار الأنبياء الإلهيين حيث بعثه الله وسائر أنبياء اولو العزم إلى البشرية جمعاء وأرسله بالكتاب والشريعة. لذلك فان كتابه، هو أول كتاب سماوي يشتمل على الشرائع الإلهية وشريعته هي أول شريعة إلهية.

ويطلق على النبي نوح عليه السلام أبي البشر الثاني، لان الأجيال الحالية للبشرية، تنتهي به. وهناك تقارير وأخبار مختلفة حول عدد الناس الذين كانوا في السفينة مع النبي نوح عليه السلام ونجوا من الطوفان. وجاء في النصوص الدينية لليهود والمسيحيين: **إن مجموع الاَناس الذين كانوا فى تلك السفينة ونجوا، لم يتجاوزوا**

---

١. سورة الشورى، الآية ١٥.
٢. نظرة مجددة على مبادئ الحكمة الإنسية»، المصدر السابق، ص ١٠٠.
٣. سورة البقرة، الآيات ٢١٣-٢١٥.

الثمانية أشـــخاص. ومن بين هؤلاء الثمانيـــة، كان أربعة رجال أى نوح وأبنائه الثلاثة حام وســـام ويافث وأربع نساء أى زوجات هؤلاء الرجال الاَربعة. إن جميع الاَمـــم والاَعراق هم من ذرية هؤلاء الاَولاد الثلاثة»[١]
والحديث لا يدور حول ما إذا كان العرق الحالى للبشـــرية يعود لأى من أبناء نوح عليه السلام، لان ثمة تعابير مختلفة يطرحها المؤرخون والمفسرون بهذا الخصوص. بل الحديث يدور حول ما إذا كانت جميع الاَعراق البشـــرية تعود إلى هؤلاء الاَشخاص الثلاثة؟ وهذه القضية ليس واضحة بالمرة من الناحية التاريخية، بل يمكن الإفادة من بعض الروايات وبعض الإشارات فـــى القرآن الكريم، من أن أبناء أخرين بقـــوا على الاَرض هم من ذرية المؤمنيـــن الاخرين الذين كانوا مع نوح عليه السلام فى الســـفينة وهناك أعراق وقوميات من أبناء هؤلاء.

وهناك حديث في «تفسير علي بن ابراهيم» عن الإمام الباقر عليه السلام تفسيرا للآية «**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ**»[٢] ورد فيه:

«**بِالْحَقِّ وَ النُّبُوَّةِ وَ الْكِتَابِ وَ الْإِيمَانِ فِي عَقِبِهِ وَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ فِي الاَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ وُلْدِ نُـــوحٍ قال الله فى كتابه: احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ**[٣]
وقال أيضا: ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ.»[٤]

ويقصد الله تعالى من الآية «**وَجَعَلْنـــا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِين**» بان الحق والنبوة والكتاب السماوي والإيمان بقي في ذرية نوح، لكن جميع الذين هم من ذرية **آدم** عليه السلام ممن يعيشون على الأرض، ليسوا من ذرية **نوح** عليه السلام، لان الله تعالى يقول في محكم كتابه المبين:

---

١. التوراة، سفر التكوين، الفصلان ٧ و ٩.
٢. سورة الإسراء، الآية ٣.
٣. سورة هود، الآية ٤٠.
٤. «تفسير القمي»، علي بن ابراهيم القمي، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤، ج ٢، ص ٢٢٣.

«احْمِلْ فيها منْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْه الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إلا قَليلٌ» وكذلك [متوجها إلى بنى اسرائيل] **«ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ»**

لذلك فانه من غير الثابت ما هو مشهور من أن جميع الأعراق والأنسال الموجودة في الأرض هم من ذرية **نوح**عليه السلام.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«فَظَهَرَت الْجَبَريَّةُ فى وُلْد حَام وَ يَافثَ فَاسْتَخْفَى وُلْدُ سَام بمَا عنْدَهُمْ منَ الْعلْمِ وَ جَرَتْ عَلَى سَام بَعْدَ نُوح الدَّوْلَةُ لحَام وَ يَافثَ وَ هُوَ قَوْلُ الله عَزَّوَجَّل وَ تَرَكْنا عَلَيْه فى الْآخرينَ[1] يَقُولُ تَرَكْتُ عَلَى نُوحٍ دَوْلَةَ الْجَبَّارينَ وَ يُعزّ اللهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بذَلكَ.»[2]

كما قال عليه السلام:

«وَ وُلدَ لحَام السِّنْدُ وَ الْهنْدُ وَ الْحَبَشُ وَ وُلدَ لسَام الْعَرَبُ وَ الْعَجَمُ وَ جَرَتْ عَلَيْهمُ الدَّوْلَةُ وَ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ الْوَصيَّةَ عَالَمٌ بَعْدَ عَالمٍ حَتَّى بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوداً»[3]

وقد تشكلت الأمة الواحدة من أول مجتمع انسان هو النبي **آدم**عليه السلام وأبنائه واستمرت حتى نحو سبعة إلى عشرة آلاف سنة قبل هذا، أي حتى عصر النبي نوح عليه السلام ومن ثم زالت وانقرضت.

وقد التزم القرآن الكريم الصمت إزاء المواصفات الظاهرة لهذه الأمة الواحدة. وبلا شك فانه ليس ثمة آصرة وراثية بين هؤلاء الأناس والأجيال والأنسال التي يدرسها علماء الأنثروبولوجيا.[4] وما يستشف من كلام الله تعالى والروايات الواردة

---

١. سورة الصافات، الآية ٧٨.

٢. «كمال الدين وتمام النعمة»، محمد بن علي بن بابويه، ترجمة بهلوان، قم، دار الحديث، الطبعة الاولى، ١٣٨٠، ج ١، صص ٢٦٩-٢٧٠.

٣. المصدر السابق.

٤. Anthropology علم الانسان وهو فرع حيوي - ثقافي يعتمد نظريات واساليب العلوم الاجتماعية وعلم الإنسان ليساهم من خلال إيجاد رابط بين سلوكيات الإنسان والحياة الاجتماعية والصحة، في فهم الأبعاد

عن المعصومين عليهم السلام هو أن ذرية هذه الكائنات، قد انقرضت بالآف الأعوام قبل هبوط **آدم** عليه السلام و**حواء** عليها السلام في الأرض. وهناك الكثيرمن الآيات في القرآن الكريم تدلل على أن أي انسان ماعدا أصحاب السفين أي أولئك الذين كانوا مع **نوح** عليه السلام في السفينة، لم يبق على الكرة الأرضية. وواحد من أوضح هذه الآيات هو «الآية المباركة ٧٧ من سورة الصافات» حيث يقول سبحانه وتعالى:

«**وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقين**»

البيولوجية والثقافية والسياسية والاقتصادية للصحة والمرض. الدكتور سيد مهدي موجد أبطحي، مركز بحوث العوامل الاجتماعية على الصحة:

www. old,mvi.as.ir

الحجر الأساس الأول لقبيلة اللعنة

إن سر اللعنة على **ابليس** يكمن في علوه وكبريائه، فيما كان هذا اللباس خاص بالله تعالى، وماعداه فان أيا من مخلوقاته وكائناته غير مسموح له الولوج في هذا المضمار.

إن الأمر بالسجدة لآدم عليه السلام كان أول إبتلاء وامتحان للمقربين، أي الملائكة وابليس المقرب لكي يُعرف أي منهم سيلبي هذا الطلب من دون أي سؤال ويقول «سمعاً وطاعة» وأن ينأى بنفسه عن الإرادة الكبريائية.

ويشير الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة القاصعة إلى هذه الواقعة ويقول:

«الْحَمْدُ لله الَّذى لَبسَ الْعزَّ وَ الْكبْرِيَاءَ وَ اخْتَارَهُمَا لنَفْسه دُونَ خَلْقه وَجَعَلَهُمَا حمًى وَ حَرَماً عَلَى غَيْرِه وَ اصْطَفَاهُمَا لجَلَاله وَ جَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فيهمَا منْ عبَاده.»[1]

«ثُمَّ اخْتَبَرَ بذَلكَ مَلائكَتَهُ الْمُقَرَّبينَ ليَميزَ الْمُتَوَاضعينَ منْهُمْ منَ الْمُسْتَكْبرين فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالمُ بمُضْمَرَات الْقُلُوب، وَمَحْجُوبَات الْغُيُوب: إنِّى خَالقٌ بَشَراً منْ طين فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه منْ رُوحى فَقَعُوا

---

١. «شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد»، عبد الحميد بن هبة الله بن ابي الحديد، قم، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، الطبعة الاولى، ١٤٠٤، ج ١٣، ص ١٢٧.

لَهُ سَاجِدِينَ.»[١]

«فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بَخَلْقِه، وَتَعَصَّبَ عَلَيْه لاصْلِه.»[٢]

«فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِى وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّة، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّة، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ.»[٣]

إن القرآن الكريم هو ليس كتاب قصص، بل كتاب الهداية.

«ذلِكَ الْكِتابُ لارَيْبَ فيه هُدىً لِلْمُتَّقين»[٤]

لذلك فانه كله ملئ بالذكر والتذكر، بحيث أن الله تعالى هو له لحافظ:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُون»[٥]

إن كتاب الذكر يعرّف ويبيّن السنن الثابتة، تلك التي إن عُرفت، فان الانسان سيتجاوز وفقا لقواعدها تقلبات الحياة بسلامة وأمان، ويصل إلى مدينة الأمان والسلم والقرب وتجربة كافة الكمالات وينال مقام القرب إلى الله والذي هو الشرف والعزة والكرامة بذاته. لذلك فقد قال سبحانه وتعالى:

«وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنين»[٦]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«وَ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُور يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَ يَبْهَرُ الْعُقُول رُوَاؤُهُ وَ طِيب يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَ لَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً وَ لَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيه عَلَى الْمَلائِكَة.»[٧]

---

١. المصدر السابق.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.
٤. سورة البقرة، الآية ٢.
٥. سورة الحجر، الآية ٩.
٦. سورة الذاريات، الآية ٥٥.
٧. «شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد»، المصدر السابق، ص ١٣١.

«وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ وَ نَفْياً للاستكْبَارِ عَنْهُم»[١]

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيس»[٢]

البلاء، سلم الكمال

ففي المنظومة الإلهية، فان رقي المخلوقات لمراتب الكمال العليا، يتحصل عن طريق «سلم الإبتلاء وقياس نسبة التواضع والتذلل» الكبرياء والعزة اللتان هما حكرا على الله تعالى. إن تجاوز حدود العزة والكبرياء التي قال عنها الإمام علي عليه السلام أن الله اختارهما لنفسه، ستكون نتيجته الإنزلاق في هاوية الذل والمسكنة والخزي واللعنة.

إن براعة العبودية، تتمثل في الطاعة التامة. وربما يمكن في وجه اخر، إعتبار العبودية بمعنى الطاعة من دون طرح أي تساؤل، الطاعة التامة، طوعا أو كرها، وسواء جاءت حلوة وعذبة للنفس أم لا، لكن الطاعة بعد السؤال هي عبادة النفس للحظ النفساني. لذلك فانها تفقد قيمتها وتصبح عديمة الجدوى. وهذا يمثل أحد أوجه الإبتلاء والإمتحان. ويتم تقييم العباد في خضم وتقلبات الإبتلاءات ليُعرف أي منهم ينفذ من دون أي سؤال أوامر الله ونواهيه، وأي منهم ينكرها ويصبح مرتدا. ولهذا السبب قال الإمام علي عليه السلام:

«يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَه تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ وَ نَفْياً لِلإِسْتِكْبَارِ عَنْهُم.»[٣]

«فَاعْتَبِروا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَة، لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ

١. المصدر السابق.
٢. المصدر السابق.
٣. المصدر السابق.

سـنى الأخرَة، عَنْ كبْر سَاعَة وَاحدَة. فَمَنْ بَعْدَ إبْليسَ يَسْلَمُ عَلَى الله بمثْل مَعْصيَته؟ كَلاَّ، مَا كَانَ اللهُ سُـبْحَانَهُ ليُدْخلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بأمْر أخْرَجَ به منْهَا مَلَكاً، إنَّ حُكْمَهُ فى أهْل السَّـماء وأهْل الأرْض لَوَاحدٌ، وَمَا بَيْنَ الله وَبَيْنَ أحَد منْ خَلْقه هَوَادَةٌ فى إبَاحَة حمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمينَ»[1]

وحسبما يقول الشاعر **حافظ الشيرازي:**

عندما يكون التمرد والعصيان قد أضلا آدم الصفى

فكيف يليق بنا أن ندعى البراءة

وفي موضوع الإبتلاء والإمتحان الإلهي فانه لم يتم إستثناء أي من أبناء البشرية. لذلك فان طريق الانسان لتجربة الكمالات يمر عبر مسار الإبتلاء والإمتحان المحفوف بالخوف والمخاطر، لكي يحرز الانسان جميع الشروط اللازمة لنيل المراتب من خلال الإختيار التام وبعد تجاوز الإبتلاءات. وتتفتق بهذه الوسيلة فحسب مجمل مواهب وبراعات الانسان الكامنة وتطفو على السطح.

وقد انخرط **ابليس** بعد اللعن والرجم، في جلد درة تاج الخلق هذا. وصنع من الشره والحسد، حربة الحقد الدفين ليتربص بالانسان لمنعه وحرفه عن السير في المسار، ويحوله إلى كائن تعيس وشقي مثله.

وقد بذل ابليس في أول فرصة وبشأن أول انسان، قصارى جهده وهمته ودفع **آدم**عليه السلام إلى ترك الأولى[2] عندها إبتعد عن جنة القرب والعزة.

---

١. المصدر السابق.

٢. إن ترك الأولى ليس تمردا ولا ارتكابا للأعمال غير الاخلاقية، بل تقصير وقصور في بذل مجمل الإهتمام نحو المحبوب. («تفسير الميزان»، العلامة طباطبائي، ج ٩، ص ٤٤٤).

سأل أبا صلت الهروي الإمام الرضاعليه السلام ما مضمونه أن: اخبرنا يا ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء (وطردوا بالتالي من الجنة)؟ فالبعض يقول انها كانت سنبلة قمح واخرون يقولون انها كانت شجرة عنب والبعض يقول انها كانت شجرة الحسد، ما معنى هذه الأقوال المختلفة؟

فقال الإمامعليه السلام ما مضمونه أن شجرة الجنة تحمل أنواع الفاكهة. لذلك فان سنبلة القمح يمكن أن تحمل فاكهة العنب أيضا. فشجرة الجنة ليست بمثل شجرة الدنيا. وعندما سجد الملائكة لآدم بامر من الله، فاضافة إلى هذه الكرامة دخل الجنة وقال مع نفسه: هل ان الله خلق كائنا افضل مني؟ فقال الله تعالى مخاطبا اياه ارفع رأسك وانظر ساق العرش، فرفع رأسه وشاهد ساق العرش. فشاهد انه كتب عليه: «**لا إله إلا اللهَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهصلى الله عليه وآله وَ عَلِي بْنُ أَبِي طَالِبعليه السلام أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ وَ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّة.**»

العلم اللازم والعمل اللازم

إن حسد وحقد **ابليس** واللذان تسببا برجمه ولعنه، أسهما في ظهور الأفضلية والأشرفية الإلهيتين الممنوحتين لآدم عليه السلام وذريته، بما في ذلك:

- أشرفية وأفضلية آدم عليه السلام وذريته نسبة إلى سائر المخلوقات والكائنات؛
- مقام خليفة الله المعلن والممنوح لآدم عليه السلام من قبل الله المتعال؛
- نضوج ثمرة إمامة وولاية آل محمد صلى الله عليه وآله من شجرة آدم أبي البشر عليه السلام؛
- الوعد بوراثة الملك العظيم الممنوح للمستضعفين من ذرية آدم عليه السلام.

وكان ابليس يعرف بان الوجه الثاني لعملة الخلافة في الأرض «**وَإِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَةِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الاَرْضِ خَلیفَة**»[1] هو إمامة وزعامة بني آدم على جميع خلق الله وكائناته ومخلوقاته.

ويقول الشهيد **محمد باقر الصدر**:

على إثر هذه الخلافة اكتسب الانسان جدارة أن تسجد له الملائكة وأن تمتثل له جميع القوى الظاهرة والخفية فى العالم... وعندما ننظر من الاَعلى والبعد السماوى وناحية جاعل فى الاَرض خليفة، إلى خلافة الإنسان فى الارض، نجدها نيابة وخلافة، وعندما ننظر من البعد الاَرضى والبشرى من ناحية من يُعين كخليفة واستنادا إلى دور الإنسان فى موضوع الخلافة العامة، نجدها الإمامة والزعامة، أى أننا نجد أن الانسان هو خليفة الله فى الاَرض وفى الوقت ذاته يحمل عنوان الإمام والقائد

فقال آدم عليه السلام إلهي من هؤلاء؟ فقال الله تعالى: إن هؤلاء هم ذريتك وافضل منك ومن جميع الكائنات وإن لم يكن هؤلاء لما خلقتك انت والجنة والنار والسماء والأرض. إحذر بالا تنظر الى هؤلاء بنظرة الحسد لانه ستخرج من جوار رحمتي. لكن آدم حسد مقامهم وتمنى لو كان يملك ذلك المقام. وهذا التفكير فتح طريقا للشيطان، وعلى اثر وساوس الشيطان أكل من تلك الشجرة التي نهي عنها في الجنة. كما أن زوجته حواء نظرت الى مقام فاطمة عليها السلام بحسد ووسوس لها الشيطان ودفعها لتأكل من تلك الشجرة. وعلى اثر ترك الاولى هذا، طرد الله آدم وحواء من الجنة وهبط بهم من مقام الجنة الى الأرض.» «عيون أخبار الرضا عليه السلام» محمد بن بابويه، طهران، جهان للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٧٨، النص العربي، ج ١، ص ٣٠٧»؛ «تفسير نور الثقلين»، ج ١، ص ٦٠).

١. سورة البقرة، الآية ٣٠.

والحاكم.[١]

إن الخلافة تتعلق بمقام الانسانية، ولا تتعلق بشخص أو فئة بعينها، أي أن **آدم**عليه السلام لم يكن شخصيا خليفة الله، بل أن مقام الإنسانية هو الذي اكتسب عنوان خليفة الله، لذلك فان الأنبياء والأولياء الإلهيين خاصة العترة الطاهرة يحظون بالمقام الكامل لخليفة الله.[٢]

وكان ابليس يرى خاتمة المطاف ونهاية الطريق، وقرر أن يحول بأي ثمن كان دون تحقق هذه الواقعة المستترة والخفية.

إن الله تعالى ومن خلال تعليم الأسماء «**وَعَلَّمَ آدَمَ الاَسْماءَ كُلَّها**»[٣] لآدمعليه السلام، جهزه بالعلم اللازم للخلافة والإمامة، لكن آدمعليه السلام وذريته وحتى الوصول إلى ساحة العمل اللازم لتحقق الخارطة الإلهية العامة (إمامة المستضعفين وخلافتهم المؤمنة في الأرض) كان أمامهم مشوار طويل.

إن إلهاء ذرية آدمعليه السلام ب «العلم غير اللازم» وتوجيههم نحو «العمل غير اللازم» حسب زعم ابليس، كان يوفر كافة السبل لتحقق أو إرجاء الإرادة الإلهية.

والنقطة الملفتة تكمن في أن آدمعليه السلام وذريته، كان عليهم أن يسلكوا هذا المسار بإختيار تام ومن خلال تجربة الإبتلاء والإمتحان، وسلوك مراتب الوصول إلى الوجهة المنشودة والمفترضة من خلال إظهار العبودية والإنصياع من دون أي سؤال عن الأوامر والنواهي الإلهية، وأن ابليس وفي ظل هذا الوعي، تربص بآدمعليه السلام وذريته الدوائر، بينما كان الله تعالى قد نبهه في قضية السجدة إلى هذا العدو.

ويرى **العلامة طباطبائي:**

إن عدم سجدة ابليس لآدمعليه السلام جاء لكى ينتبه آدم إلى العداء الذى يناصبه ابليس له ولزوجته، لان الله تعالى قال لآدمعليه السلام: «إنک ستواجه

١. «خلافة الانسان وشهادة الأنبياء»ف السيد محمد باقر الصدر، طهران، جهاد النبأ، ١٣٩٩، ص ٧٤.
٢. «المرأة في مرآة الجلال والجمال»، عبد الله جوادي آملي، ص ١٦٥.
٣. سورة البقرة، الآية ٣١.

صعابا ومشـــاكل فى الحياة الدنيا إن امتثلت لابليس، إذ أن رفع الحوائج فيها يتطلب جهدا كبيرا»[1]

إن إضفاء الزينة على الأرض والأوجه المادية للحياة وإلهاء بني آدم، شكل مقدمة لإغفالهم عن الهدف والحكمة الرئيسية للخلقة، لذلك فان التزيين في الأرض، مثل الخطوة الأولى لابليس في إغواء **آدم**عليه السلام، بحيث أن **ابليس** قال متوجها الى الله بعصيان وتمرد:

«قالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الاَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعين»[2]

وردا على ابليس قال الله تعالى:

«إِنَّ عِبادى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوين»[3]

إن ابليس كان يعلم أنه وبسبب أن روح الانسان جبلت على العبادة واظهار العبودية، فانه لن يكون قادرا على التصرف في هذا الأمر التكويني، إلا اذا تمكن من دفع بني آدم من خلال إغوائهم وتدنيسهم إلى عبادة الاوثان والطاغوت، ويفرض بذلك عليهم الولاية الشيطانية.

وعلى الرغم من التصور العام، فان لا سبيل للشيطان للسيطرة والهيمنة على الانسان، إلا اذ قام الانسان ذاته بفتح معبر وممر لدخول هذا الضيف غير المدعو.

إن التمرد والعصيان على أوامر الله ونواهيه والتلوث بنجاسات الذنوب والمعاصي، يعد بمثابة الخروج عن فسطاط عباد الرحمن والإنخراط في فسطاط عباد الشيطان، وبالتالي الإنضمام إلى سكان جهنم.

«وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعين»[4]

---

١. محمد حسين طباطبائي، «تفسيرالميزان»، قم، مكتب النشر الاسلامي، ج ١، صص ١٢٧-١٢٨.
٢. سورة الحجر، الآية ٣٩.
٣. المصدر السابق، الآية ٤٢.
٤. المصدر السابق، الآية ٤٣.

السؤال والعبادة، كامنان في ذات الانسان

إن السؤال والعبادة، يكمنان في ذات وجوهر الانسان. وهذا الكلام يعني أن السؤال عن حقيقة الكون وعبادة خالق الكون، هما أمر فطري وجُبل عليه الانسان، وهو مشترك في خارج ظرف الزمان والمكان بشان أنواع البشرية في جميع الأعصار والأمصار، مثلما أن الميل إلى الكمال، كامن في ذات وجوهر الانسان.

إن رصيد الروح والنفخة الإلهية التي نفخها الله في جسم الانسان، تشكل أهم وأبرز سمة للانسان وتميزه عن سائر المخلوقات والكائنات، بحيث أنها ترافق وتصاحب الانسان منذ الولادة من دون تدخل ووساطة كائن اخر.

إن ما هو كامن في ذات الانسان يطلق عليه الأمر الفطري.

ولا يمكن فصل الصفة الذاتية عن أحد ما، لكن الصفات المكتسبة، يمكن فصلها عن الموصوف.

إن «الفطرة» في اللغة تعني الطبيعة والطينة. وقد استخرجت هذه المفردة من جذر «فَطَرَ» أي بمعنى شق كما تأتي بمعنى الايجاد والابداع والخلق، أي الإختراع والتخليق من دون سابقة ومن دون التأسي والإقتداء بالاخرين. لذلك، فان الأمر الذاتي والفطري ليس بحاجة إلى التعليم والتدريب.

إن جميع أبناء البشرية من الأولين وإلى الاخرين، وفي كل عصر وكل جيل، يميلون إلى عبادة الله من دون الحاجة إلى التعليم والتربية المباشرة وغير المباشرة بل بصورة فطرية وطبيعية، كما يميلون إلى الكمال وهم بصدد الكشف عن حقيقة الكون والوجود ويطرحون الأسئلة.

وتستخدم مفردة «الغريزة» بشأن ما أودعه الله بصورة طبيعية في جسم الحيوانات ليلبوا بواسطتها إحتياجاتهم. والغريزة هي معرفة وضعت في روح الحيوانات، ليستخدمونها بصورة تكوينية لحفظ أنفسهم من الحوادث والأخطار والتهديدات وتلبية احتياجاتهم الجسمية والجنسية. وعلى الرغم من أن الفطرة

شأنها شأن الغريزة هي أمر تكويني، لكن الغريزة هي في حدود الاحتياجات الجسمية والمادية، لكن الفطرة هي ماوراء المادة والجسم وعبئت في جوهر وطبع الانسان، وتصبح في خدمة الميول الروحية والنفسية. بعبارة أخرى فان «الغريزة» تتحول في خدمة الميول الجسمية و«الفطرة» تصبح في خدمة الميول الروحانية. وبناء على ذلك، يطلق على الفطرة كرصيد روحاني ونفخة إلهية.

وبما أن الأمر الفطري مشترك بين عامة الناس بصورة متساوية، فانه يفترض أمرا بديهيا وجليا ومقبولا لدى العامة، وليس بحاجة إلى أي دليل وبرهان، لأن الأمر الفطري، منسجم مع طبيعة الإنسان.

و «الفطرة» هي غير «الطبيعة» أو «الطبع» وهذان الإثنان موجودان في كافة الكائنات من الجمادات والنباتات والحيوانات، مثلما أن الغريزة توجد في الحيوانات. والإنسان في وجهه الحيواني، يملك غريزة تلعب دورا في تلبية إحتياجاته الجسمية.

إننا نلاحظ أجمل رموز ومظاهر الأمر الفطري، في العبادة والتحرك نحو الكمال والسؤال وطلب الجمال والدعوة إلى الفضيلة والإبداع والحداثة و... .

وقد سعى الشهيد **مطهري**، أن يميز ويفرّق بين مفهوم المفردات الثلاث الغريزة والطبع والفطرة:

إن الفارق الرئيسى بين هذه المفردات يعود إلى شيئين: الاَول أن الطبع هو حالة وصفة ذاتية ولا واعية، بينما الغريزة نصف واعية والفطرة هى صفة وطبيعة أكثر وعيا من الغريزة، كما أن الطبع يستخدم لتبيان الخصوصية الذاتية لعديمى الروح والغريزة تستخدم للحيوانات والفطرة للانسان. لذلک فان الطبيعة يجب أن تكون جزء من الخصائص المادية والفيزيائية للأشياء والغريزة هى من خصائص الحياة الحيوانية والفطرة هى خاصية ذاتية متعلقة بالاَبعاد الانسانية للانسان.[1]

---

١. «مطهري والفطرة في القرآن»، سيد حسين هاشمي، فصلية البحوث القرآنية، العدد ١٧.

وللدكتور **عبد الله نصري**، تعريف وتوضيح حول الفطرة. ويقول:

إن الفطرة هى عبـــارة عن مجموعة من المواهـــب والتوجهات الباطنية للانسان والتى خلقها الله تعالى من أجل الهداية التكوينية للانسان.[١]

وقد وردت مفردة «الفطرة» مرة واحدة في القرآن بشأن الانسان ومفهوم العبادة:

«فَأَقِـــمْ وَجْهَكَ للدّين حَنيفاً فطْرَتَ اللهِ الّتـــى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْديلَ لخَلْقِ اللهِ ذَلكَ الدّينُ الْقَيّمُ وَلَكنّ أَكْثَرَ النّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»[٢]

فالحنيف لغويا تعني القويم والداعي إلى الحق والمناداة بالحق والإبتعاد عن الإعوجاج ومراعاة الإعتدال.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«كُلُّ مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الْفطْرَة حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه وَ يُنَصِّرَانه.»[٣]

وسئل الإمام الصادق عليه السلام ما المقصود من الفطرة في الآية المذكورة؟ فقال عليه السلام ما مضمونه أن المقصود هو الاسلام وعندما أخذ الله من البشرية ميثاقا على التوحيد ومعرفته، وضع الحاجة إلى الدين في وجودهم.[٤]

وقال الإمام الباقر عليه السلام تفسيرا لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله: **«كُلُّ مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الْفطْرَة»**:

«الْمَعْرفَةَ بأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَالقُه.»[٥]

ونقل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في تفسير الآية المباركة **«... فطْرَتَ اللهِ الّتى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا ...»** قوله عليه السلام:

«هُوَ لا إله إلا اللهَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ عَلِيٌّ أَميرُالْمُؤْمنينَ وَلِيُّ اللهِ إلَى هَاهُنَا

---

١. «مبادئ علم الانسان في القرآن»، عبد الله نصري، طهران، المؤسسة الثقافية والفكر المعاصر، ١٣٧٩، ص ١٦٦.

٢. سورة الروم، الآية ٣٠.

٣. «بحار الأنوار»، ج ٣، ص ٢٨١.

٤. المصدر السابق، ص ٢٧٨.

٥. «الكافي»، محمد بن يعقوب الكليني، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧، ج ٢، ص ١٣.

التَّوْحيد.»[1]

ونقل **أبوبصير** عن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«إن القصد من الآية «فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنيفاً» هو الولاية.»[2]

واعتبر الإمام علي عليه السلام أن أحد أهداف بعثة الأنبياء هو تجديد عهدهم وميثاقهم الفطري مع الله:

«فَبَعَثَ فيهِمْ رُسُلَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه.»[3]

كما قال عليه السلام ما مضمونه أن التوحيد الذي يدعى كلمة الإخلاص، يضرب بجذوره في طبيعة الانسان.[4]

إن الكثير من العلماء والمفكرين غير المسلمين، تذكروا هذا الوجه الفطري للعبادة أثناء الحديث عن الله والعبادة، فعلى سبيل المثال، يقول عالم الرياضيات الفرنسي (الوفاة ١٦٦٢ للميلاد):

إن القلب يشهد بوجود الله لا العقل وأن الإيمان يتحصل عن هذا الطريق. وللقلب أدلة لا يمكن للعقل الوصول إليها.[5]

وللحكيم الفرنسي **مالبر انش** (١٦٣٨-١٧١٥ للميلاد) كلام لطيف في هذا الخصوص:

إن روح الانسان ورغم أنها مرتبطة بالجسم فى الظاهر، لكن تواصلها وترابطها الحقيقى والرئيسى هو مع الله، لكن وبما أن الانسان أصبح مذنبا وأخذ يهتم بالجسم وضعف تواصله مع الله، فيجب أن يسعى لتعزيز هذا التواصل ... إن الروح غير قادرة على الإدراك، إلا مع الشئ الذى ترتبط

---

١. «بحار الأنوار»، المصدر السابق، ص ٢٧٧.

٢. «الكافي»، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٩.

٣. «نهج البلاغة»، (للصبحي صالح)، محمد بن حسين الشريف، قم، هجرت للنشر، الطبعة الاولى، ١٤١٤، الخطبة الاولى، ص ٤٢.

٤. المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٢٢.

٥. «مسار الحكمة في اوروبا»، ج ٢، ص ١٨.

وتتوحد معـــه، وبما أنها لا تنتمى انتماء حقيقيا إلى الجســـم، وتواصلها هو مع الله، فهى تدرك وجود الله فحســـب... ويتضح من هذا بان الذات الإلهية ليست بحاجة إلى الإثبات والبرهان. إن وجود الله بديهى وأن علم الانســـان بوجوده ضرورى، وإن نفس الانســـان تدرك الله مباشرة ومن دون وسيط.[١]

إن الآيات القرآنية والتفاسير الروائية المقدمة، تعلن أن جزء كبيرا من التعاليم غير المكتسبة والروحانية للانسان هي فطرية، وتشير في الوقت ذاته إلى اتساع نطاق هذا الرصيد الممتزج بالروح. إن الإنطباعات الوحيانية والفطرة والتعاليم الخاصة بها، تشتمل على ثلاثة مبادئ مهمة هي التوحيد والنبوة ورسالة الرسول الاكرمﷺ وولاية أمير المؤمنينعليه السلام، وهي المبادئ التي أخذ الله تعالى منذ الايام الاولى للخلقة ميثاقا وعهدا من النبى **آدم**عليه السلام وذريته (في عالم الذرّ) بشأنها. ويطلق على هذا الميثاق الفطري اسم «ميثاق الفطرة».

الجدير بالذكر أن عهد الفطرة ووفقا لما قاله النبي الأكرمﷺ خرج عن المسار الرئيسي تحت أثر تعاليم الأب والأم (التعاليم الاجتماعية والتعليمات المكتسبة) وأخذ يتجه نحو التوجهات غير الرحمانية. بعبارة أخرى، فان هذا الرصيد الذاتي منصب على «أمر هداية» الانسان في المسار والصراط المستقيم لكي لا ينزلق الانسان في تقلبات الحياة في هاوية الضلال والتيه، بحيث أن إرسال الأنبياء وإنزال الكتب عقب ذلك الرصيد الفطري، يتولى مهمة تذكير الانسان، لكي لا يبقى عهد الميثاق (حول التوحيد والنبوة والولاية) من دون أثر واداء، أو أن يتجه الانسان إلى عالم الموت وهو في حالة من عدم النضج وقبل أن ينال مقام الإثمار، لان العالم هو عالم الإبتلاء والإمتحان ومسرح لظهور المواهب الفعلية للانسان، وفي هذا المسرح، يلتقى العهد المستتر والخفي للانسان (ميثاق الفطرة) مع إرادته ووعيه التامين (الإيمان القلبي والعمل بالشريعة المحمدية والولاية)،

١. المصدر السابق، صص ٢٢- ٢٣.

ويزيح الستار عن سيماء الانسان ويجلعه يكتسب شروط سلوك مراتب الكمال. وفيما عدا ذلك، فان موضوع السؤال والعقاب والمكافأة في الساحات الدنيوية والبرزخية والاخرى الخاصة بالقيامة، سيكون فاقدا للمعنى وغير قابل للدفاع.

الأرض لا تخلو من الحجة

وإستنادا إلى المصادر الوحيانية وإتكاء إلى علم الكلام النابع عن المصادر الاسلامية (القرآن والروايات) فان البشرية لم تترك منذ الايام الاولى لخلقة الانسان وحتى بعثة النبي الأكرمﷺ من دون حجة وهاد ومن دون تحمل المسؤولية أو أن تكون مصونة ونزيهة عن الخطأ والعثرات للرد على تساؤلاتها وعبادتها في الأرض. ويمكن تقديم حجج عقلية وشرعية كثيرة للبرهان على ذلك.

إن النشأة الحكيمة والعالمة لخلقة العالم والانسان، بعيدة كل البعد عن هذا الإتهام، كما أنها بعيدة كل البعد عن عدالة الخالق الذي يملك بالذات جميع الصفات الكمالية بما فيها العدالة بصورة مطلقة، أن يترك عباده يوما من دون حجة وإمام ونبي مرسل وأن يعيشوا في الساحات المادية والمعنوية بالإتكاء على الوهم والكمال، وأن تعيش في وقت اخر أمم أخرى مع حجة وإمام ونبي مرسل.

وأشرنا في القسم السابق إلى أن الله الحكيم، وبمحاذاة إنعقاد عهد الفطرة وجبل روح الانسان على جوهر العبادة والسؤال (البحث عن الحقيقة)، فقد أرسل حججه وأنبيائه لتتوفر إمكانية تذكير العباد بالحقائق المستترة وأن يجد هؤلاء العباد فرصة العبودية والتذلل لحضرة الحق وسلوك السير الإكمالي نسبة إلى وسعة وجوده.

إن الإنحراف عن التعاليم الفطرية والتعليمات الوحيانية للأنبياء الإلهيين العظام والإنتقائية واختلاط التعاليم وبالتالي التلوث الذهني والعملي للناس بكل ما هو باطل وذي شبهة، أبعد العديد من الأمم عن الصراط المستقيم، فضلا عن أن قسما كبيرا من هذه العوامل، يعد بشكل مباشر أو غير مباشر من عمل الشيطان

وجنوده.

ويشير الله تعالى بصراحة في الآية المباركة «**إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هاد**»[١] إلى حضور الهادين الإلهيين بين جميع الأمم.

وفي آية أخرى، يقول الله حول فصل إستدعاء جميع الأمم في صحراء القيامة وحساب أعمالهم:

«**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلا**»[٢]

وتذكّر الآية بصراحة بالوجود والحضور الدائم للأئمة والقادة بين الأناس حتى يوم قيام القيامة الكبرى. وجاء في القرآن الكريم بشأن حديث النبي **ابراهيم**عليه السلام مع عمه:

«**إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً[٣] فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**»[٤]

ويرى معظم المفسرين أن كلمة باقية في عقبه ترمز إلى الإنسان الهادي الموجود على الدوام بين الأمم والشعوب ويدعو إلى التوحيد، لذلك فانه من ذرية ابراهيمعليه السلام وسيبقى حتى اخر الدنيا.

وأورد المغفور له **العلامة طباطبائي** في «تفسير الميزان» توضيحا للآية ٢٨ من سورة الزخرف ما يلي:

إن الله تعالى جعل هذا التوحيد فى ذريته عسى أن يعودوا.

كما يسلط العلامة طباطبائي الضوء على وجود معاني مختلفة للكلمات ويقول:

ويقول البعض أن القصد هو أن الله تعالى جعل الإمامة كلمة باقية فى

---

١. سورة الرعد، الآية ٧.
٢. سورة الإسراء، الآية ٧١.
٣. والمقصود من كلمة باقية، هي كلمة تكوينية وتعني الإنسان.
٤. سورة الزخرف، الآيات ٢٦-٢٨.

ذرية ابراهيم عليه السلام.[١]

وبحساب بسيط وإستنادا إلى قول الله تعالى، يمكن أن نصل إلى أنه ومنذ اليوم الأول وما بعده وحتى بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فان أي قوم لم يمشوا على الأرض من دون هاد سماوي.[٢]

وجاء في تفسير «مجمع البيان» توضيحا لجملة «وجعلها كلمة باقية»:

يقــول البعض: إن القصد من كلمة باقية، هو الإمامة التى تبقى فى ذريته إلى يوم القيامة.[٣]

ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام وإستنادا إلى المصادر الروائية، فان الأرض لم ولن تخلو أبدا من حجة الله، لان سبحانه وتعالى قال:

«لَوْ الحُجّة لَسَاخَت الاَرْضُ بِأَهْلِهَا.»[٤]

فضلا عن أنه يشار إلى هذه النقطة من وجهة النظر الولائية والوحيانية بأن:

---

١. «تفسير الميزان»، محمد حسين طباطبائي، توضيحا للآيات ٢٦-٢٨ من سورة الزخرف.

٢. ووفقا للتقويم المقدم في «طبقات ابن سعد»، ج ١، ص ٥٣، فأنه يمضي نحو ٧ الاف عام على خلق آدم ابي البشر عليه السلام،
ومن عهد آدم عليه السلام وحتى عهد نوح عليه السلام هناك ١٠٠٠ عام،
ومن عهد نوح عليه السلام وحتى عهد ابراهيم عليه السلام، ١٠٠٠ عام
ومن عهد ابراهيم عليه السلام وحتى عهد موسى عليه السلام، ١٠٠٠ عام
ومن عهد موسى عليه السلام وحتى عهد عيسى عليه السلام، ١٩٠٠ عام
ومن عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله، ٥٦٩ عاما.
ويعد «طبقات ابن سعد» أشمل وأكمل كتاب وضع حول الصحابة والتابعين حتى العقد الثالث من القرن الثالث للهجرة. ووفقا لطبعة ادوارد سان وزملائه، فان هذا الكتاب يشتمل على تسعة مجلدات. ففي المجلد الاول من هذه المجموعة، جاء شرح أحوال وسيرة بعض الأنبياء السلف.
وقام بترجمة الطبقات، الدكتور محمود دامغاني وصدر عام ١٣٤٥ لدى دار «نشر نو» للنشر في ايران.
كما أورد ويل ديورانت في المجلد الاول من كتابه «قصة الحضارة» صص ١٣٥-١٤٢، جدولا زمنيا لتاريخ «الشرق الادنى» بما يتطابق مع دراساته. ووفقا لهذا الجدول الزمني، فان الزمن الفاصل بين عهد النبي ابراهيم j حتى بعثة النبي الأكرمn يبلغ نحو ٤ الاف عام. («قصة الحضارة»، ويل ديورانت، طهران، الثورة الاسلامية للاصدارت والتدريب، ١٣٧٢، صص ١٣٥-١٤٢).

٣. «تفسير الميزان»، محمد حسين طباطبائي، توضيحا للآيات ٢٦-٢٨ من سورة الزخرف.

٤. «شرح الكافي، الأصول والروضة»، محمد بن صالح بن أحمد المازندراني، طهران، المكتبة الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٣٨٣، ج ١٢، ص ٥٤؛ «معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام»، قم، مؤسسة المعارف الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٤١١، ج ٣، ص ٤٢، ح ٨٧٧.

حجة الله كان قبل الخلق وهو مع الخلق، وسيكون بعد الخلق أيضا.[١]

وكما بيّنا في البداية، فان إرسال الأنبياء وإنزال الكتب، هو فيض عام لم تغلق بابه أبدا بوجه البشرية، وفيما عدا ذلك، لما كان من الممكن لآحاد الخلق والناس، تجربة الكمالات والسير في الكمالات.

وعندما تكون حكمة إرسال الأنبياء قطعية ومعقولة وحضورهم بين الناس وهدايتهم، ضروري، فان هذا ينسحب على جميع ابناء البشرية من الأولين إلى الاخرين. وفي هذا الخصوص، جاء في «الآية ٣٦ من سورة النحل»:

«وَ لَقَدْ بَعَثْنا فی کُلِّ أُمَّة رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوت»

ويقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في هذا الخصوص:

«... فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَة لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْله وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ به عَلَى عِبَاده وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّته وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَته بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَة مِنْ أَنْبِيَائه وَمُتَحَمِّلِی وَدَائِعِ رِسَالَاته قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ.»[٢]

وتؤكد مجموعة المستندات على هذه النقاط:

أولا: إن الحجج الإلهيين كانوا موجودين بين جميع الأمم منذ عهد النبي آدم عليه السلام وحتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛

ثانيا: إن هؤلاء الأنبياء وبين جميع الأمم، أتموا الحجة على الناس، ودعوهم إلى التوحيد؛

ثالثا: إن كل نبي، كان له وصي، كان يقوم من بعده، بهداية القوم ويدعوهم إلى الصلاح، بحيث تذكر الكتب السماوية أنه وحتى قبل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله تم بعث قرابة ١٢٤ الف نبي إلى الأمم المختلفة.

---

١. «الكافي»، المصدر السابق، ترجمة سيد جواد حسيني، مكتب نشر ثقافة أهل البيت؛ كتاب الحجة، ج ١، ص ٢٥٠.

٢. «نهج البلاغة» الخطبة ٩١.

أسباب انحطاط الثقافات والحضارات

إن أسبابا كما نذكرها تاليا، أدت حسب السنة الثابتة للكون، إلى حرمان العديد من الأمم من الثقافة الحقيقية وابتلائهم بانواع البلايا الثقافية والحضارية:

الإصابة بالإنحرافات الاخلاقية والذنوب (الإنحراف عن التعاليم الفطرية والإلهية) والتلوث الذهني والعملي بالباطل؛

الإعراض عن تعاليم الأنبياء الإلهيين والكتب السماوية على اثر الإيحاءات الشيطانية والدنس النفساني؛

الإنتقائية واختلاط التعاليم الحقيقية بتعليمات الباطل وغير الوحيانية.

إن سمسرة الشيطان وجنوده في قرصنة الناس وحرفهم عن الصراط المستقيم، كان لها في هذا السير والسفر، الاثر الرئيسي والبالغ.

إن نور الهداية يسطع بصورة فطرية على جميع الخلائق، لكن المستقبلين والمقبلين، عرضوا أنفسهم لهذه الانوار وتناموا، والتقطوا واستقبلوا أنوار الحق. وفي المقابل، فان الذين كانوا محرومين من المعرفة والاقبال والمتورطين في فخ ابليس، حرموا من كل هذا وبقوا في الظلام والعتمة.

إن الاَلوان اللطيفة هى من قبة الصفاء

والاَلوان الرديئة والقبيحة هى من الظلام والجفاء

وصبغة الله هو اسم تلك الاَلوان اللطيفة

ولعنة الله هى رائحة تلك الاَلوان الوسخة[1]

إن ترابط العبادة الذاتي بروح الانسان، جعل أصحاب البحث في غنى عن البحث في تاريخ وماضي العبادة ومصدرها. ففي أول لحظة من ولادة وخلق الكون، وعندما بزغت برعمة الخلقة وارتدت ثيابها، تبرعمت العبادة ايضا. إن العبادة والتكريم والإجلال والتذلل والتضرع هو لله تعالى والخالق الذي يرتبط به مجمل الوجود والصيرورة.

---

١. «مثنوي»، جلال الدين محمد مولوي، الدفتر الاول، حكاية الملك اليهودي.

ولا يتصور أي نهاية وتوقف لهذه البداية، لكن العبادة، تتقدم على الشرك والكفر.

ومنذ أن حسد **ابليس، آدم**عليه السلام وقرر إغواء أبناء آدم، بثت بذور الشرك لكي يشاهد ابليس وجنوده نمو الشجرة اللعينة من الحبة المرة والسوداء لهذا الشرك.

وكان ابليس يعرف تماما، بان ختم العبادة لا ينتزع من قلب الانسان وهذا ما دفعه الى صب جل اهتمامه على جعل مصاديق الآلهة، حتى يتوجه الانسان من منطلق الجهل تارة والابتعاد او عدم الاهتمام بدعوة الانبياء والرسل تارة اخرى، نحو عبادة الأوثان والسجدة على عتبة المعابد، وفي الحقيقة تلبية دعوة ابليس واوليائه.

ومن هذا المنطلق، فان عمر وتاريخ توجه الأمم المختلفة نحو الآلهة والاساطير، يعود إلى ما قبل التاريخ والعصور القديمة وفي عصر لا يمكن ذكر مكان وزمان خاصين له.

ومذاك، فان كل ما كان يجب على الانسان نسبه الى الله البارئ ورب الأرباب، كان ينسبه إلى الأساطير والآلهة المزورة، وما كان عليه أن يطلبه من عتبة الله الغني المستغني، كان يطلبه من الأساطير والآلهة، وفي هذا الخضم، تحولت المعابد والكهنة إلى وسطاء بين الانسان وجنود ابليس، ولم يبقيا هما من دون حظ ونصيب من هذه الوساطة.

وعلى مرّ جميع القرون والأعصار، تحولت الجن الكافرة والكهنة إلى مروجي ومديري معابد ابليس، إلى أن وقع الانسان في فخ الثلاثي الأسود ابليس والجن والكهنة، وخسر كل ما يملكه ورأسمال ورصيد وجوده على اثر انخراطه في ديار الظلام.

وتمثلت براعة ابليس في تزوير النسخة الأصيلة والإلهية للعبادة والهداية، وكذلك إحلال الآلهة والأساطير محل الله جل وعلا والجن الكافرة والشياطين محل الهاتف الغيبي. وأصبح الكاهن رديفا للانبياء الإلهيين ليبلغ رسالة وشريعة

ابليس لأتباعه وأنصاره.

إن هؤلاء الأنبياء المزيفين والمدعومين من القوى ماوراء الطبيعة الشيطانية والسحر والشعوذة، تصرفوا بقلوب وعيون المنكوبين بالآفات واستولوا على أفئدتهم، لكي لا يتقلص عدد الذين يبجلون ويكرمون المعابد الشيطانية.

إن ما كان يبديه ويظهره الأنبياء عن طريق المعجزة وباذن من الله، في صورة حقيقية، كان يظهره الشياطين وبمدد من قواهم والسحر والشعوذة أمام أعين المنكوبين بالسحر. ومع ذلك وحسبما يقول حافظ الشيرازي:

كن في أمن وأمان لان السحر لا يمكنه أن ينافس المعجزة ومن هو السامري حتى يريد التطاول على اليد البيضاء[1]

وقد درّب ابليس، بني آدم على السحر والشعوذة في عصر النبي **نوح**عليه السلام وبنية مواجهة دين الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وتبديد وتحطيم الأمة الواحدة.

وبالرغم من أنه لا يمر أكثر من ٥٠٠٠ عام على عمر التاريخ المكتوب واختراع الخط، لكن جميع الأعمال المتبقية من التاريخ الشفهي والمكتوب لحضارات وثقافات العصر القديم والأمم القديمة في القسم الشرقي من الكرة الأرضية، موقع بين «البحر الابيض المتوسط» و «ايران» و «اسيا»، ينطوي على مؤشرات وعلائم توجه واهتمام الأمم بالميتافيزيقا والعبادة والسحر والكهانة والشعوذة.

١. «ديوان حافظ الشيرازي»، الشيخ محمد شمس الدين حافظ

الفصل الثاني

رؤية جديدة تجاه مصير الحضارات العريقة

مقدمة

إن ما وصل إلينا من تاريخ الأمم القديمة، يعود إلى عصر أخترع فيه الخط. ومن هذا المسار، انتقلت تعاليم الأمم القديمة بما فيها النظرة العالمية وعلم الكونيات (علوم الكون وعلم العالم) إلى الأعصار والأجيال.

إن تاريخ وماضي الخط الهيروغليفي المصور[1] يعود إلى أربعة ألاف عام قبل الميلاد. وبما أن هذا الخط استخدم في مصر وعلى يد الكهنة، أطلق اليونانيون عليه اسم هيروغليف أي الكتابة المصرية القديمة المحفورة في قبور المصريين القدماء ومعابدهم وغير ذلك من تراثهم.

وكان المصريون القدامى أول من استعمل ورق البردي لكتابة الهيروغليفية وتسجيل أحداثهم وعلومهم وآدابهم. كما استخدموا أقلاما من القصب كانوا يضعونها في الحبر الأسود أو الأحمر،[2] لكن أعرق وأقدم الأمم التي هيأت في منطقة «بين النهرين» أرضية الخط المسماري، هم السومريون، وكانوا قوما متحضرين من غير العرق السامي، والبعض يرجح أن يكونوا قد هاجروا من شواطئ البحر إلى هذه المنطقة. ويشاهد موطئ قدم لهم منذ أواخر الألفية الرابعة قبل

---

١. هيروغليف Hieroglyph هو مصطلح إغريقي معناه النقش المقدس، ويتألف من جزئين هما: Hieros بمعنى المقدس و Glupho بمعنى النقش.

٢. «اللغات الصامتة»، يوهان فردريش، ترجمة الدكتور يد الله ثمرة، الدكتور بدر الزمان قريب، مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، ١٣٦٥، ص ٥.

الميلاد في «بين النهرين» [عراق اليوم].[١]

إن معطياتنا حول الثقافات والحضارات والأمم التي كانت تعيش في الارض قبل كتابة الوقائع (كتابة التاريخ) وكذلك توجهاتهم وأدائهم، مستقاة من الكتب الدينية المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن) وبعض الأساطير الموجودة في أعمال الامم (التي لها ماض عريق في التاريخ) والتخمينات والتنبؤات التي اطلقها المؤرخون وعلماء الآثار في العصر الحديث.

وعلى الرغم مما تورده المصادر الدينية والوحيانية حول تاريخ ومصير الأمم السالفة ومعتقداتها وأدائها وخاتمتها (والتي أشير إليها في القسم السابق)، فان مؤرخي العصر الجديد واستنادا إلى العلوم الحديثة (المذهب التجريبي والمذهب الدنيوي) وغير مكترثين بالإنطباعات الدينية، فانهم يضفون الأصالة فقط على نتائج العلم الجديد ومناهج البحث (الميثودولوجيا) الخاص بها. وهذا أدى إلى أن يغلقوا أعينهم على الأخبار الواردة في المصادر الدينية والوحيانية الحقيقية وما تحتوي عليه من جهة، ويغفلوا ويتجاهلوا العوالم الميتافريقية والماورائية والنتائج المتحصلة من عمل سكان تلك العوالم من جهة أخرى، ويعتبرون كل ذلك حصيلة ونتيجة الجهل والخرافة. ولهذا السبب فان التقارير والتحليلات المقدمة حول العديد من الحضارات وأمم العصور القديمة، تفتقد إلى اساس وتنبع فحسب من حدس وتخمين وتنبؤات المؤرخين الذين يعولون على علوم الوضعية[٢] والمذهب الدنيوي.

إن عجز هذه الفئة من المؤرخين وعلماء الاجتماع عن درك ماهية عالم الميتافيزيقيا، وسكان هذا العالم واتساع نطاق وميدان عمل العلوم المتصلة به

---

١. المصدر الصابق، ص ١٠.

٢. Positivism الوضعية، كل مذهب فلسفي يرفض مابعد الطبيعة. وتزعم الوضعية نوعا من الميثودولوجيا العلمية وطريقة التفكير الفلسفية التي روج لها الفيلسوف الفرنسي اغوست كونت (١٧٩٨-١٨٧٥) ... وتصر الوضعية على أن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية المباشرة، بعبارة أخرى أن يمكن مشاهدتها. «مدخل منطقي على الميثودولوجيا الوضعية».

(العلوم الغريبة) نتج لكي تغفل عن أهم جزء من دفتر حياة البشرية والأمم في الأرض. ومن هذا المنطلق واستنادا إلى المستندات التاريخية وبحثا عن أسس وسير وسفر قبيلة اللعنة، فاننا مضطرون لدراسة وتحديد دور هذا الفرع من العلوم بين الأمم القديمة وكيفية ظهورها ونشأتها في التعاملات الفردية والجزئية لسكان تلك الثقافات والحضارات.

وكما أشرنا، فمنذ الأيام الاولى من هبوط آدمعليه السلام في الأرض، وبمحاذاة التيار الحقيقي (قبيلة الرحمة) إبتدع ابليس تيار، صبّ جُل اهتمامه عليه من أجل الإيحاء ب «النظرة العالمية» و «علم الكون» الذي ينشده للإنسان بهدف حرفه عن التيار الحقيقي الذي يدعو اليه الله تعالى.

وهذه الدراسة تفتح نافذة جديدة أمامنا في وقت القيام بالدراسات الثقافية ودراسة «التاريخ الثقافي للأمم والشعوب»، وتتيح مجال «التساؤل» الجاد عن توجهات وطريقة تحديد «مؤرخي وعلماء اجتماع» العصر الغربي الجديد لثقافات وحضارات العصور القديمة.

ويجب بداية معرفة أن أي من الحضارات كانت الرائدة في هذا المجال في التاريخ، وما الدور الذي كان تعلبه فيها العلوم الماورائية.

حضارات ضفاف النيل وبين النهرين

إن أساس الدول التي رتبت ونظمت أمورها وشؤونها قبل الاخرين، وضع قبل نحو أربعة الاف عام قبل الميلاد في مصر وبين النهرين، واستمر تاريخها زهاء ثلاثة وخمسين قرنا، ودامت حتى نحو خمسمائة عام قبل الميلاد، وخلال هذه المدة، تفوقت على الاخرين من حيث كمال الضمير ومتانة وتماسك الحضارة. والمقصود هو أهالي «مصر» و «كلدة» و «اشور» ممن كانوا من ذرية «بني حام» و «بني سام»[1]

١. لقد كان النبي نوحعليه السلام من الانبياء الذي عمّر طويلا وكان صاحب كتاب وشريعة، لكن وبرغم دعوته التي استمرت تسعمائة وخمسين عاما، لم يؤمن به سوى ثمانية أشخاص. وبعد واقعة الطوفان العظيم ونجاة من تبقى

وكان لكل منهم دورة وصولة وشكلوا إمبراطوية قوية.[١]

ويظهر الجدول التالي، دورات مدنية وتاريخ أكثر أمم العالم إعتبارا وتاريخا، حتى عصر ميلاد السيد **المسيح** عليه السلام:

«مقارنة دورات المدنية وتاريخ أكثر أمم العالم إعتبارا حتى ميلاد المسيح»

آلبر مالة، «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، ج ١، ص ١٣.

من القوم، قسم العالم بين أبنائه الثلاثة أي سام وحام ويافث. فقد أعطيت أرض السود، بما في ذلك «الزنج» و «الحبشة» و «النوبة» و «البربر» وجزرها إلى حام. فيما كان العراق وخراسان والحجاز واليمن والشام وايران من نصيب سام، بينما ذهبت مناطق الترك وسقلاب ويأجوج ومأجوج وحتى الصين إلى يافث. («بحار الأنوار»، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٣٠٤، ج ١١، ص ٢٨٨)

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، البر ماله، ترجمة عبد الحسين هجير، ج ١، مكتبة ابن سينا، ١٣٣٢، صص ١٢-١٣.

ويتطرق ويل ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» الى الاعمال والمصادر المكتوبة للتاريخ الممتد على مدى ستة الاف عام، ليعتبر المشرق مهدا ومنطلقا للثقافة والحضارة وينسب إبداع الحضارة إلى سكان «الشرق الأدنى» في الجغرافيا المحدودة بـ«غرب الهند» حتى «بين النهرين» و «مصر»، ويقدم بصراحة (ومن منطلق الإجبار طبعا)، «اوروبا» و «امريكا» على انهما مدينان للمؤسسين الحقيقيين للحضارة أي الشرق. ويكتب قائلا:

ومنذ أن أصبح التاريخ المكتوب، فى متناول اليد وحتى الوقت الحاضر، تمر ستة الاف عام على الأَقل، ونصف هذه الفترة طالما هو واضح وجلى بالنسبة لنا، يعود إلى «الشرق الأَدنى»[1] مركز الشؤون والقضايا الدولية. ونقصد من هذا المصطلح الغامض للشرق الأَدنى، هو مجمل «جنوب شرق» اسيا الواقع فى «جنوب روسية» و «البحر الأَسود» و «غرب الهند» و «افغانستان»، وبتسامح أكبر، نعتبر أن هذا الاسم يغطى مصر ايضا، لان هذه البلاد كانت مترابطة ومتواصلة منذ الأَزمنة الغابرة مع الشرق، وصنعا معا، الشبكة المتداخلة للثقافة والحضارة الشرقية ... إن ثقافتنا الأَوروبية والأَمريكية، وعلى مدى القرون، أخذت من ثقافة هذا الشرق الأَدنى، عن طريق جزيرة «كريت» و«اليونان» و«روما» ولم يكن الآريون واضعى ومبدعى الحضارة، بل استعاروها من «بابل» ومصر. كما أن اليونانيين لا يعدون صانعى صرح الحضارة، لان ما أخذوه من الاخرين أكثر بكثير مما خلفوه هم. إن اليونان هى فى الحقيقة إرث،

١. إن عامة الباحثين الغربيين، ومع افتراضهم أن الغرب يشكل مركزا وقطبا للعالم، قسموا جغرافيا الأرض إلى شرق وغرب هذا المركز، واطلقوا على أكبر جغرافيا ثقافية وحضارية إسم الشرق، وقسموه إلى ثلاثة أقسام هي: «الشرق الأدنى» و «الشرق الأوسط» و «الشرق الأقصى» وقد استخدمت عبارة الشرق الأوسط للمرة الاولى عام ١٩٠٢ على لسان امريكي يدعى الفرد تاو ماهان لوصف منطقة الشرق الأقصى والأدنى. وقد طرح هذا العرض خلال مقالة نشرت في «ناشيونال ريويو» حول صعوبات «الخليج الفارسي» بالنسبة لبريطانيا. وبعده، استخدمت هذه العبارة من قبل صحيفة «تايمز لندن» ومن ثم في المراسلات الرسمية للحكومة البريطانية وكذلك بريطانيا وامريكا في الحربين العالميتين الاولى والثانية. (مهدي محمودي، ماجستير العلاقات الدولية، مؤسسة افاق التنمية والامن، www.idsp.ir).

استولت من دون وجه حق على إحتياطي وذخيرة ثلاثة الاف عام من العلم والفن والذى وصل إليها مع غنائم الحرب والتجارة من الشرق. ومع دراسة الموضوعات التاريخية المتعلقة بالشرق الأَدنى واحترامها، نكون قد أدينا فى الحقيقة الدّيْن الذى حصلنا عليه من المؤسسين الحقيقيين لحضارة اوروبا وامريكا.[١]

وبهذا فان مجموعة مؤسسي الحضارة البشرية أي السومريون ٣٦٠٠ عام قبل الميلاد ومصر اكثر من ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد وبابل ٢٣٥٧ عاما قبل الميلاد وعيلام (ايلام) ٢٧٠٠ عام قبل الميلاد، كان لهم أكبر حصة وحضور في بناء الثقافة والحضارة الأولية للعالم.

وحسبما يقول البر ماله، فان بسط الحضارة في أرض «كلدة» وضفاف نهري دجلة والفرات بحوالي ٤٠٠٠ عام قبل الميلاد، حدث في تلك الحقبة التي كانت تتنامى فيها مصر وتسمو:

أسهم كلدانيو بابل فى انتعاش وازدهار التجارة واولوا اهمية كبيرة للحساب والفلك. وربط هؤلاء علم الفلك بالدين، وظنوا أن الكواكب الخمسة وهى: المشترى وزحل والزهرة والمريخ وعطارد وكذلك القمر والشمس، بانها مظهر الآلهة. واعتبروا الزهرة بانها مظهر عشتار إلهة الحب والمشترى مظهر رب الأرباب وحسبوا أن حركتها وطلوعها وأفولها، له أثر فى مصير وقدر الناس وأنفسهم. فقد ميز هؤلاء بين الكواكب ورصدوها ليشخصوا الخسوف والكسوف... وكان نبوخذنصر مؤسس دولة كلدة، إذ حكم بابل بداية بواسطة الاشوريين ومن ثم تمرد على الاشوريين بدعم من الايرانيين واستولى على «نينوى».[٢]

وتعني كلدة الأرض المستوية، وهي اسم منطقة قسمت بثلاثين قرن قبل

١. «قصة الحضارة»، ويل ديورانت، ج ١، اصدارات وتعليم الثورة الاسلامية، ١٣٧٢، ص ١٤١.
٢. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٢.

الميلاد إلى ناحيتي «سومر» و «اكد».

وفي عام ٥٣٨ قبل الميلاد، هاجم الايرانيون دولة كلدة واستولوا عليها. وكان الكلدانيون يعبدون الكواكب. ومن ثم تحولوا إلى المسيحية. وانفصل المسيحيون الكلدانيون عن كنيسة الروم الشرقية، وشكلوا كنيسة مستقلة في القرن الرابع للميلاد. وبعد فترة وجيزة، اهتموا بتعاليم **النسطوريين**[١] واصبحوا في زمرة المسيحيين النسطوريين.[٢]

وأول دورة للعهد الملكي في سومر، هي جزء من الالفية الثالثة وتعود إلى الفترة من ٢٨٠٠ إلى ٢٤٠٠ قبل الميلاد، وانتهت مع احتلال سومر على يد سارغن الأول أحد ملوك أكد والذي كان قد جاء من الشمال. وبعدها منذ عام ٢١٠٠ قبل الميلاد حيث زالت «أور»، نهضت سومر مرة أخرى. وفي هذه الحقبة، لم تنته الحضارة السومرية، لكن وضع حد لهيمنتها وسلطتها باعتبارها قوة مستقلة. لذلك عندما نتحدث عن أول حضارة بشرية، أي الحضارة السومرية، نقصد المجتمع المتحضر الذي كان يملك ثقافة متطورة ومعقدة للغاية، وازدهرت في جنوب «بين النهرين» [عراق اليوم] ودامت منذ النصف الثاني من الألفية الرابعة حتى نهاية الالفية الثالثة قبل الميلاد.

وتقدم «سومر» على أنها أول مجتمع بشري، طوّق مدنه بجدران من الآجر والخنادق، وكان مشرفا على الأطراف والنواحي عن طريق الأبراج التي شيدت على منصات مرتفعة.[٣]

---

١. النَّسطوريون أعضاء طائفة دينية مسيحية، احتلت مكانًا بارزًا في القرن الخامس الميلادي وقد اتبعوا تعاليم نسطوريوس الذي كان مطران القسطنطينية. وقد زعموا أن المسيح عليه السلام ليس ابن الله، بل وحّد في ذاته شخصين وطبيعتين، طبيعة الانسان عيسى وطبيعة الله ابن الله أو لوغوس. وكان مقرهم مدينة «حرّان». والاشوريون المعاصرون «ايران» هم من ذرية هؤلاء. وكان نسطوريون مطران القسطنطينية، قد ولد في «جرمانيسي» (سورية) بحوالي عام ٣٨٦ للميلاد. وبعد أن عبر عن عقيدته ورأيه، وافقه امبراطور الروم الرأي. وبعد إدانته بسبب معتقداته، تخلى عن قبول بدعته وسمح له، أن يعتزل في صومعة «سن ابربر»، لكنه نفاه لاحقا إلى واحة في صحراء ليبيا. وقد انتشرت هذه العقيدة والمذهب في ايران منذ سلطنة الملك الساساني بيروز الأول.

٢. تاريخ الأديان والمذاهب في العالم»، عبد الله مبلغي، ج ٢، صص ٧٧٤-٧٧٥.

٣. المصدر السابق.

وكان أهالي «كلدة» يكرمون الموتى ويحبون ذلك، لأنهم كانوا يظنون بان أرواح الموتى قادرة على أن تعود إلى الأرض وتؤذي الأحياء. لذلك كانوا يخشون الأرواح غير المرئية، وفضلا عن ذلك كانوا يؤمنون بان عددا كبيرا من الجن الشريرين والشياطين غير المرئيين يتربصون على الأرض لإيذاء الناس. وكانوا يصورون الشياطين بوجوه كريهة، وكانوا يعطونها جسم انسان ورأس وأرجل حيوان.[١]

وفي تاريخ جميع الأمم والحضارات، فان انقراض الدول وقيام دول أخرى على أنقاضها يعد سُنة وتقليدا سائدا وسيستمر حتى اخر يوم من حياة الانسان على وجه المعمورة.

العصر القديم والعوالم الماورائية

وكما أسلفنا، فان عامة الأمم التي كانت تقطن جغرافيا الحضارات القديمة، كانت ترى أنها تواجه بصورة محسوسة وملموسة عوالم ماوراء الطبيعة والكائنات التي تسكن هذه العوالم وبشكل خاص الشريرة منها، وكانت تتواصل مع تلك العوامل تارة أو تخوض كربا وفراً معها تارة اخرى عن طريق اللجوء إلى العلوم الخفية (الغريبة).

ويكتب البروفسور **سليغمن** الباحث ومؤلف كتاب «تاريخ السحر» حول مواجهة الأمم التي كانت تسكن الحضارات القديمة، للكائنات الماورائية:

إن هذه الاَمم كانت تواجه بأشكال مختلفة، هذه الكائنات: أشباح كانت تقطن تحت الاَرض، مصاصو الدماء الذين كانوا يهربون من بين الموتى ويهاجمون الاَحياء، ... الغيلان الشريرة التى كانت تحكم ليالى الصحارى والكهوف والبحار والجبال والمستنقعات ورياح الجنوب، وبالتالى الكوابيس الرهيبة والمخيفة التى كانت تجلبها معها...

---

١. «الحضارات الأولية»، دانيل غلين، ترجمة هايدة معيري، مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، الطبعة الاولى، ١٣٦٣، صص ٧٣-٧٤.

وإضافة إلى ذلك، الغيلان الشريرة التي تسود أفكار الناس وتطلب القرابين والضحايا وعبادتها، كما أن الإيمان بالأرواح الطيبة كان سائدا بين الحكماء في الحضارات القديمة، وكان هؤلاء جاهزون جائما لمناصرة المنكوبين والمفجوعين بالغيلان.[١]

وكان سكان تلك الأيام وتلك الظروف الزاخرة بالخوف والدهشة، يقطنون ضفتي نهري دجلة والفرات.

وكان كهنة هؤلاء القوم، يسبرون غور سماء الليل، في السهول الواسعة وفي القلاع والأبراج والمعابد، ويفكرون باسرار الكائنات ونشأة ومصدر عالم الوجود والموت والحياة.

وكان هؤلاء يقدمون أناشيدهم إلى روح «هيا» (Hea) أي الأرض و روح آنا (Ana) أي السماء، ويطلقون التواشيح والإبتهالات والمناجاة والأناشيد ويشعلون الأبخرة زكية الرائحة ويصرخون ويدمدمون ويطلقون حركات خاصة، سعيا منهم للفت انتباه الآلهة [كائنات ماوراء الطبيعة التي كان يُعتقد أنها في زمرة الآلهة] وكان يجب أن يذكرونهم دائما بتعاسة الموت. وفضلا عن الخوف من الأرواح الشريرة والدنئية، فانهم كانوا يؤمنون بان ثمة قوى خطيرة تكمن في داخل الانسان ذاته.[٢]

وعلى الرغم من تصور انسان العصر الحديث الذي يعتبر الكون والكائنات حصرا وحكرا على الكائنات التي يمكن مشاهدتها بالعين ويعتبر المذهب التجريبي مقياسا ومعيارا للتقييم بمدد الحواس الظاهرة، ويغطي على عجزه وعدم مقدرته على معرفة وتجربة سائر العوالم من خلال نبذ وإنكار تلك العوالم وسكانها، فان جميع سكان الثقافات والحضارات السالفة (منذ اليوم الأول وحتى القرن الثامن عشر للميلاد) لم ينكروا هذه العوالم وتنوع وتعدد الكائنات التي تسكنها، بما فيها

١. «تاريخ السحر»، سليغمن، ترجمة وبحث الدكتور ايرج كلسرخي، علم للنشر، ١٣٧٧، ج ١، ص ٢٢-٢٣.
٢. المصدر السابق.

الكائنات الجنية،[1] بل يتعايشون معها في تعاط وتعامل ثنائي الإتجاه.

لقد كان هؤلاء مزودين بعلوم وفنون توفر لهم إمكانية التواصل والإرتباط. وكانت هذه الأمم أكثر صدقية وصميمية من شعوب وأمم العصر الحاضر في مجال معرفة الكون والوجود، وكانوا ينظرون إلى عمق واتساع نطاق الكون بنظرة وانطباع أكثر عمقا واتساعا. ولهذا اعتبرت تعاملهم أكثر صدقية وصميمية، لانهم لم يكونوا يخفون جهلهم وعجزهم من خلال النفي والإنكار.

جدير ذكره ان مجموعة العلوم والفنون التي كانت توفر لسكان الحضارات القديمة، إمكانية التواصل والإرتباط ثنائي الإتجاه وكذلك التعامل وحتى الإفادة من قدرات الكائنات الماورائية، يطلق عليها اسم العلوم الغريبة.

إن دراسة تاريخ الأمم القديمة تظهر بان التفرعات المختلفة للعلوم الخفية كانت جارية وسائدة بين مختلف الطبقات والشرائح الإجتماعية لتلك العصور، وكان أصحاب البلاط والسلطة ومن خلال إستخدام وتوظيف علماء العلوم الغريبة، يستفيدون من قدرات هؤلاء لاكتساب وحفظ السلطة والنفوذ على الاخرين ودحر العدو، لاسيما وأن السحروالشعوذة وعلم التسخيرات وعلم الطلاسم كان سائدا بشكل مذهل بين هؤلاء. بحيث يمكن الزعم بان هذه العلوم والفنون، كانت جزء لا يتجزأ من حياة عامة الأمم القديمة، مثلما أن الكلدانيين والمصريين كان لهم

---

١. ومن وجهة النظر الإسلامية (ومعتقد سائر اتباع الديانات التوحيدية) فان الكائنات لا تختزل في هذه الأصناف والأنواع التي نراها باعيننا. فهؤلاء شأنهم شأن الانسان تعد من مخلوقات الله، وهي كالانسان تملك القدرة على الإختيار وقد خلقت من نار «**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ من قَبْلُ من نَّارِ السَّمُومِ**» (سورة الحجر، الآية ٢٧).

والجن هي كائنات لطيفة وسيالة ولا ترى في الظروف العادية، لكن يمكن مشاهدتها في بعض الظروف. وهؤلاء بوصفهم وسيلة الله تعالى، يتولون مهام خاصة في نظام الكون والوجود وأن سرعة حركتهم ولطافتهم النورية، تحول دون مشاهدتهم من قبل عامة الناس. ووفقا ل»الآية ٢٧ من سورة الأعراف» فان هؤلاء يروننا لكننا لا نراهم. «**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**»

وهذه الكائنات هي حقيقية وتملك تنوعا وتعددا، بحيث ورد في قصة النبي سليمان عليه السلام أن عفريتا من الجن قال في جلسة رسمية متوجها الى النبي سليمان عليه السلام: «**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**» (سورة النمل، الآية ٣٩).

جدير ذكره أن طوائف من هؤلاء الجن، وامتثالا منها للشيطان، منخرطة في جموع الكافرين والمتمردين، وتناصر ابليس لنيل مآربه في قرصنة الانسان وإغوائه.

باع طويل منذ القدم في السحر والشعوذة.

ويمكن القول بان أصل السحر كان له ماض عريق وطويل في مدن «كلدان» و «مصر» القديمة، بحيث كان سحرة فرعون يصطفون لمحاربة ومواجهة معجزة النبي **موسى**عليه السلام.[١]

ويمكن مشاهدة مؤشرات وعلائم الرجوع إلى العلوم الخفية والإهتمام بالسحر والشعوذة بين عامة هذه الأمم والحضارات.

إن منطقة «بين النهرين» الخصبة لاسيما «كلدة» تحولت سريعا إلى مهد الحضارة. فقد قام أهالي كلدة وببراعة تامة بإعداد وتصنيع أدوات الري. لقد كان هؤلاء ملتزمون بالأوهام ويؤمنون بالسحرة وعلماء الأحكام.[٢]

ويكتب مؤلف كتاب «تاريخ السحر»:

لقد كان الكهنة يتمتعون ببراعة خاصة فى استخدام السحر، بحيث أن السحر كان بيد المجرمين، بمثابة سلاح منحرف يمكن استخدامه لنيل مقاصد ومآرب دنيئة. وفى ذلك الزمن، كان الساحر يعتبر نفسه فوق كل القوانين والاَحكام الدينية، وكان يمارس الطلسم بسهولة، ويقرأ تعاويد وتمائم ويقتل بتهور كل من يشاء.[٣]

وبما أن الباحثين الاوروبيين، بمن فيهم **البر ماله** و**ويل ديورانت** واستنادا إلى «علوم المذهب التجريبي» كانوا يدرسون أحوال الأمم السابقة، وكانوا يولون أصالة خاصة للعلوم الجديدة المستندة والمبنية على الإنطباعات الحسية لهذا العالم، فانهم يأتون على ذكر مجمل علوم وتعليمات وانطباعات هؤلاء الأمم تحت مسمى «الأوهام»، في حين أن هذه الأمم واستنادا إلى معلوماتها وتجاربها وخبراتها توصلت إلى علوم وفنون ساندتهم وآزرتهم في عبور وكسر قواعد عالم المحسوسات واختراق سائر العوالم وأتاحت لهم مجال اكتشاف قواعد تلك

١. «تفسير التسنيم»، عبد الله جوادي آملي، ج ٥، ص ٦٨٨.
٢. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٤.
٣. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ص ٢٣.

العوالم واعتماد القوى المنتشرة فيها للعيش [خارج سنن وقواعد الأديان الإلهية والتوحيدية] في الارض. وكل هذا يظهر إلى أي مدى انتشرت «العلوم الخفية والغريبة» بين هذه الأمم.

ويصف كتاب آشوري، الشياطين هكذا:

هناك يعوون، وهنا ينصبون الكمائن. وهى ديدان كبيرة تنبثق من السماء. مخيفة للغاية. ويملأ عواؤهم المدينة ويتكاثرون من باطن الارض والتراب. ويلتفون على شكل تاج حول الاَعمدة الطويلة والعريضة. ويتنقلون من منزل إلى منزل، لان أى بوابة لا تحول دون دخولهم، وأى قضبان لا تصدهم، بل هم كالافعى ينسلون من تحت الباب وينفذون مثل الهواء من بين مسامات ومنافذ الباب.

ومن أجل أن يحمي أهالي «كلدة» أنفسهم من هؤلاء الأعداء غير المرئيين، كانوا يلجأون إلى السحرة والمشعوذين. وكان السحرة رجال مخيفين ومقتدرين، لانهم كانوا يملكون مقدرة سحب السلاسل من أعناق الشياطين، ويجلعون الطالع السيئ وبالا للناس. وكان الطريق لطرد ونبذ الشيطان يتمثل في قراءة التمائم والتعاويذ ورش المياه المتبركة وغلي أعلاف السحر.

وكانوا يحمون أنفسهم من شرور الشياطين بواسطة أشرطة متبركة تخاط باليد وكذلك الطلاسم والتعاويذ التي كانت تجلب السعادة والهناء. وكان استعمال السحر والطلاسم والتعاويذ والأعلاف السحرية والرقى لدفع وصد التعاسة، نشره أهالي «كلدة» في أرجاء العالم القديم، وهذه العادة التي كانت ناجمة عن الأوهام لم تزل نهائيا لحد الان.

وكان أهالي كلدة يدققون في السماء لمعرفة أسرار المستقبل، فضلا عن أنهم أدركوا وعرفوا موضوعات أخرى إتسمت بطابع علمي، بما في ذلك أنهم ميزوا بين الكواكب والثواقب. وقد رسموا الصور الفلكية المختلفة وحددوا مواقعها ومسافاتها. وأخذوا بنظر الإعتبار تغير مواقع الصور الفلكية وقاموا بحساب

الخسوف والكسوف. لذلك فان علم الأحكام أنتج علما حقيقيا اخر ألا وهو علم الفلك.[١]

برج بابل

في أقدم حقبة تاريخية، أي حوالي ثلاثة الاف عام قبل الميلاد كانت «كلدة» قد قسمت إلى ناحيتي «شومير» [سومر][٢] و «أكد»،[٣] وقد اجتمعتا أحيانا تحت راية واحدة وتفرقتا أحيانا أخرى، وكل منهما سلك مساره. وكان عدد حواضر هاتين الناحيتين يصل إلى ١١، وهذه البلاد الحادية عشر، كانت في صراع واشتباك دائم مع بعضها البعض بشأن الحكم والسيادة المطلقة.

وفي النهاية، ذهبت السلطة والحشمة إلى «بابل» وزالت التقسيمات القديمة وحكم **حمورابي** ملك «بابل» مملكة مترامية الأطراف بحوالي ٢١٠٠ قبل الميلاد، ووضع قوانين متينة، وأقام منشآت منتظمة.[٤]

وأورد **ويل ديورانت** في هذا الخصوص:

إن بابل تعتبر من ناحية تاريخ وعرق شعبها، حصيلة تمازج الأكديين والسومريين معا. ومن هذا الإتحاد، نهض العرق البابلى، وكان فى عرق جديد لكن الغلبة كانت مع العنصر السامى. والحروب التى اندلعت بينهما، انتهت فى النهاية إلى انتصار «أكد» وأصبحت بابل عاصمة جميع الأقسام السفلى لما «بين النهرين» وفى مستهل هذا التاريخ، تتجلى أمامنا شخصية قوية مثل شخصية حمورابى (٢٠٨١-٢١٢٣ ق.م) وكان حاكما مشرعا سنّ للقوانين وحكم لمدة ثلاثة واربعين عاما ... وأقام نظاما وقانونا فى تلك البلاد بواسطة مسلة حمورابى التى نقشت

---

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، صص ٨٤-٨٦.

2. Sumer

3. Accad

٤. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، صص ٦٧-٦٨.

عليها شريعته...

ويقال أن هذه الشريعة شأنها شأن شريعة موسى(عليه السلام) نزلت من السماء، لانه تشاهد صورة ملك على أحد أوجه المسلة وهو يمسك بالقوانين من «شمش» أي إله الشمس... .[١]

وتفيد بحوث ويل ديورانت أن «مسلة حمورابي» لا علاقة لها بالدين. إنه كان فطنا لدرجة أنه ألبسها خلعة وزينها من رضا الآلهة. وفيما كان يشيد قلاعا، كان يأمر ببناء معابد أيضا. ولإسترضاء كهنة بابل، تم بأمر منه في بابل بناء ضريح كبير ل مردوك[٢] وزوجته (إلاهان وطنيان) وبجانبه مستودع واسع، لتخزين القمح في هذا المستودع لهذين الإلهين وكهنتهم. إن هاتين الهديتين ونظائرهما، تعد في الحقيقة بمثابة رأسمال طرحت للمرابحة، والنتيجة المتحصلة منها، هي طاعة الشعب التامة والاحترام الذي كانوا يكنون له.[٣]

وكان [حمورابي] يدير بواسطة الضرائب التي كان يجنيها، جيشا للحفاظ على النظام وحماية القانون، وكان يتبقى له ذلك المقدار الذي يمكنه من تجميل عاصمته يوما بعد يوم. وفي كل مكان، كانت تشيد القصور والمعابد، كما بني جسر على نهر «الفرات» لتتوسع المدينة على طرفي هذا النهر. وكانت سفن وبواخر لا يقل عدد عمالها عن تسعين شخصا، تبحر في الفرات جئية وذهابا.

وقبل ألفي عام قبل الميلاد، تحولت «بابل» إلى أحد أثرى المدن التي شهدها التاريخ القديم والحديث.[٤]

لكن بابل الثرية والمبهرجة ومع أهاليها المترفين والمزينين بانواع الزينة، بثت بداخلها بذور الإضمحلال، وكل ما أسهم في جمالها وروعتها وثروتها، تحول

---

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، صص ٢٥٩-٢٦١.

2. Mardook

٣. وفي عصرنا الحاضر والحضارات ما بعد الحداثة، فان بعض الحكام ومن خلال إستخدام العلوم الغريبة والكهنة والسحرة، يسعون للإستحواذ على قلوب الناس، ويسلبون منهم إمكانية إبداء ردة الفعل والنقد والإحتجاج.

٤. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٢٦٢-٢٦٣.

إلى بلاء وآفة طالتها.

وبعد مرور ثمانية أعوام على وفاة حمورابي، هاجم بابل أناس يقطنون الجبال لكنهم كانوا مقاتلين أشداء وجياعا، وبعد هجمات متتالية، انتصروا على البابليين من العرق السامي.

ويقول **البر ماله:**

إن الدولة التى أرســـى أساسها حمورابى، إمتدت لمائتى عام، واندثرت فى النهاية على اثر هجوم قوم كاسيت وهيتيت الذين جاؤوا من الشمال. وقد اســـتولى قوم هيتيت على بابل عام ١٩٢٥ ق.م. ونهبوها وســـلوبها ومن ثم انتشلوا غنائمهم وعادوا إلى «اسيا الوسطى» وبعد فترة، وتزامنا مع اســـتيلاء قوم «هيكسس» على «مصر»، انقض قوم كاسيت على بابل واستولوا عليها وجعلوها حاضرة لهم.[١]

أرض نمرود

ومن وجهة نظر الجغرافيين المسلمين، فان بابل كانت أحد الأقاليم السبعة[٢] واعتبروها غالبا واحدة مع خونيرث، الاساطير الايرانية.[٣] ووفقا للروايات، فان بابل قديمة جدا وعمرّها النبي **نوح**عليه السلام للمرة الاولى وسكنها بعد الطوفان، وقام من بعده أخلافه ببناء المدن فيها.[٤] ومن حيث الماضي الروائي، فان بابل كانت ثاني

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٢.

٢. وهو مصطلح جغرافي. وكان القدماء قد قسموا سطح الكرة الأرضية إلى عدة أقاليم. وقسموا المعمورة إلى سبعة أقاليم، وجعلوا كل مدينة في العالم جزء من هذه الاقاليم وكل من هذه الأقاليم كان موازيا لخط الاستواء من الشرق الى الغرب على التوالي («الجغرافيا التاريخية للاسلام»، عبد الرحيم عقيقي بخشايشي، مجلة الفلسفة والكلام، دروس من مجلة مدرسة الاسلام، ١٣٦٦، عام ٢٧، العدد ٢)

٣. «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، تحت اشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران، ١٣٨١، ج ١١، ص ٢٠٩؛ «التنبيه والإشراف»، علي بن حسين المسعودي، ص ٣٥.

٤. «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، المصدر السابق، نقلا عن «معجم البلدان»، ياقوت الحموي، ج ١، ص ٤٤٧.

بلاد تبنى على الأرض، وقد ألقي النبي **ابراهيم**عليه السلام في النار في هذه الديار.[١] وهذه الأرض التي سكنها نمرود والضحاك ومن ثم ملوك كنعان، كانت تحتوي على قصور وأبراج عديدة، بحيث كان **نمرود** يظن، أنه مع تشييد برج عظيم، سيكون قادرا على الذهاب إلى السماء ومشاهدة رب ابراهيمعليه السلام.[٢]

إن «بابل» تعني باب الله وكانت في القديم مشهورة بقدر مدينة «منفيس»،[٣] وبالرغم من أنها حوصرت مرارا ونهبت وسلبت، لكنها لم تفقد اسمها لمدة مديدة. وقد ورد إسم هذه المدينة في الأساطير الكثيرة، وكانت رديفا لمدينة الترف والملذات.

ولا تعد بابل من البلدان القديمة جدا لـ«كلدة»، بل شيدت في ٢٧٠٠ قبل الميلاد، والإقبال التي حظيت به، جاء نتيجة موقعها الملائم، لأنها شيدت في الناحية السفلى لـ»الفرات» أي في الموقع الذي يقترب فيه هذا النهر من نهر «دجلة» أكثر من أي مكان اخر، ولذلك كانت تقع بين «اشور» و «كلدة» و «مصر» و «ارمينيا»، و»ايران» وكانت تقع في الحقيقة على مفترق طرق... وقد استطاع ملوك بابل بعقدين قبل الميلاد تحويل مدينتهم إلى حاضرة سياسية ودينية لـ «كلدة» كلها.[٤]

ومن هنا يكتشف القارئ الذكي سر الإهتمام المتزايد لـ «بني اسرائيل» للإستيلاء على أرض بابل القديمة، أي قسم كبير ومهم من «بين النهرين» و«عراق» اليوم.

إن الموقع الجيوسياسي (الجغرافيا السياسية) والجيوبيئي (الجغرافيا الاقتصادية) والجيو استراتيجي لهذه المنطقة، حوّلها إلى وجهة آمال «أشرار اليهود» و

---

١. «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، المصدر السابق، نقلا عن «مسالك الممالك»، ابراهيم الاصطخري.
٢. المصدر السابق، نقل عن: المسعودي، «مروج الذهب»، ج ٢، ص ١٠٩
٣. Menfis: مدينة منفيس القديمة. وهذه المدينة التي يعود تاريخ بنائها حسب علماء الآثار الى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد، كانت عاصمة مصر القديمة وكانت تحظى باهمية بالغة.
٤. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ٧٠.

«المحافل السرية» لترسيخ سلطتهم العالمية والهيمنة على شرق العالم وغربه.

وفتحت «بابل» على يد قبيلة «كاسي»[١] القوية والمقاتلة، واضطربت أوضاعها، وبعد ذلك ولعدة قرون، لم تستعد عظمتها ومجدها السابقين. وخضعت بابل لعدة سنوات لسلطة دولة «اشور» وملوك «نينوى»، إلى أن استولى **نبوخذ نصر** على بابل على إثر الضعف والثغرات التي حصلت في دولة اشور التي تأسست في الشمال، وأسس سلالة مستقلة وجديدة، لينهمك في إعمارها وبنائها، وبعده حكم إبنه **نبوخذ نصر الثاني**، بابل، وأعلن في خطابه الإفتتاحي الذي قدمه لأكبر إله بابل:

إنى أحب طلعتک الجميلة كما نفسى العزيزة! ولم أختر أى منطقة فى خارج مدينة بابل للإقامة فيها... عسى أن يبقى فى عهدک أيها الإله الكريم، المنزل الذى شيدته، خالدا ومعمورا، لأمتلئ من عظمته ومجده، وأبلغ فيه سن الشيخوخة وأن يكثر أبنائى وآخذ الاَتاوة من جميع ملوک الاَرض ومن جميع أمم العالم.[٢]

وقد أعاد نبوخذ نصر كل المجد والبهاء والإعمار إلى بابل. وكانت تقرأ هذه العبارة المليئة بالفخر والتباهي، تقريبا على كل آجرة وجدت في بابل القديمة: **أنا نبوخذ نصر، ملک بابل.**[٣]

المسافر الذي كان يقترب من هذه المدينة، كان يشاهد وكأنه على جبل من المباني «برج زيغورات المدرج الكبير» المؤلف من سبع طبقات، وكانت جدرانه مغطاة بالبلاط المنقش اللامع، وترتفع قمته عن سطح الأرض قرابة ٢٠٠ متر. وفي أعلى هذا البرج، كان ثمة ضريح، وضعت فيه طاولة كبيرة ذهبية وتخت مزخرف للغاية، وكانت إمراة تنتظر كل ليلة فيه المشيئة الإلهية. وأغلب الظن، بان هذا الصرح الشامخ الذي كان أعلى من أهرام مصر ومن مباني جميع العصور

١. وكانوا قوما شهيرين وكبيرين يقطنون منطقة زاغرس الجبلية، وحكموا منطقة «بين النهرين» لعدة قرون.
٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٥.
٣. المصدر السابق، ص ٢٦٦.

والحقب، ماعدا تلك التي شيدت في عصرنا الحاضر، هو برج بابل الذي ورد ذكره في القصص العبرية. وبناء على تلك القصص، فان أشخاصا من أهل الارض ممن كانوا لا يعرفون يهوه، أرادوا أن يظهروا مجدهم وبهاءهم من خلال هذا الصرح متعدد الطوابق، وقد عاقب إله الجيش الناس من خلال تشويش ألسنتهم. وفي جنوب «زيغورات»، كان قد شيد معبد مردوك الكبير، إله بابل وحارسها...

وعلى مبعدة خمسمائة متر عن شمال «برج بابل» كان هناك نتوء ضئيل على الارض، كانوا يسمونه قصرا، وشيد عليه نبوخذ نصر أورع قصوره ... وبالقرب من ذلك النتوء، كانت تقع حدائق بابل الشهيرة التي اعتبرها اليونانيون[١] واحدة من عجائب الدنيا السبع.[٢]

وعلى الرغم من وجود كافة التحصينات، فان بابل لم تقاوم ولم تدم أمام جيش **كوروش**.

وقد استولى كوروش ملك «ايران» الذي جاء من الشرق، على بابل عام ٥٣٩ قبل الميلاد، وكانت هذه السنة، هي سنة إنقراض وإندثار تاريخ «كلدة» وبالرغم من زوال دولة بابل، لكن المدينة لم تتضرر، وبقيت آثارها ومجدها باديان للناظر بجمال وبهاء لمدة مديدة.[٣]

وأي حضارة لم تصل إلى ما وصلت إليه حضارة بابل من حيث الأوهام والتخرفات. وكان الكهنة يفسرون كل حادثة بدء من الولادة غير الطبيعية وصولا إلى الأشكال المختلفة للموت، بتعبيرات وتفسيرات سحرية وخارقة للطبيعة.

---

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

٢. عجائب الدنيا السبع (أو عجائب الدنيا السبع في العالم القديم) تشير إلى منشآت رائعة من العصور الكلاسيكية القديمة. وهذه الآثار السبعة، تم تسجيلها على الظاهر للمرة الاولى على يد فينيقي من أصول يونانية يدعى أنتيباتروس في القرن الثاني قبل الميلاد، في كتاب... وقد اكتمل إعداد قائمة عجائب الدنيا السبع أساسا بحوالي القرن الثاني قبل الميلاد، ووردت أول اشارة مكتوبة عن هذه المجموعة المكتوبة في كتاب تاريخ «هيرودوت» والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وهذه العجائب السبع في العالم القديم هي: هرم الجيزة وحدائق بابل المعلقة وتمثال زوس في اوليمبيا ومعبد أرتميس في إفيسس وضريح موسولوس في مدينة هليكارناسوس وتمثال رودس ومنارة الإسكندرية. (موسوعة ويكيبيديا).

٣. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٠.

وكانت حركة المياه في النهر والأشكال المختلفة للكواكب والمنام والأفعال غير العادية للانسان والحيوان، كانت كلها أشياء إستخدمها الخبراء في هذا المجال، لتكهن وتوقع المستقبل.[١]

وقد أقدم الحكام الكلدانيون على بناء برج من أجل تجسيد علم الفلك لديهم، وكان البرج على شكل سلالم ويجسد الدرجات والتراتيبية التي تستقر عليها الارض والسماء. وهذا الصرح كان في الحقيقة عالما فسيفسائيا، يظهر الكرة الأرضية.

وقد شيد صرح «منزل الحجر الأساس للأرض والسماء» في بابل. وهذا البرج السحري المعروف في «الإنجيل» ببرج بابل، شيد في سبع طبقات، وكل طبقة منه، تجسد أحد الكواكب. وفي أطرافه وزواياه، كانت هناك رموز لاربع جهات العالم، والتي تشير إلى «أكد» و «سابورتو» و «ايلام» والبلاد الغربية.

وبناء على التقليد القديم للسومريين، كان العدد أربعة هو عدد السماء، واعتمد البابليون المربع والمستطيل كاساس لنظامهم.

والسلالم السبعة للبرج، كانت قد صبغت بسبعة ألوان مختلفة، وكل لون يرمز إلى لون الكوكب ذات الصلة بتلك السلمة. وسلمة زحل أو التعاسة الكبرى، كانت باللون الأسود. وشمس الليل هذه، كانت بالضبط أمام أعلى درجة، أي قمة البرج الذهبية والتي كانت مقرا للشمس وتقع في أدنى سلمة.

والسلمة الثانية، كانت باللون الأبيض وبلون المشتري، ولامعة ومتألقة. والسلمة الثالثة كانت مخصصة لعطارد، وباللون الأحمر، وبعدها، كانت السلالم باللون الأزرق للزهرة، والأصفر للمريخ والرمادي أو الفضي للقمر.

وحتى الألوان شأنها شأن الكواكب، كانت تعكس الخير والشرّ. ولذلك، فان دخول الكلب الأصفر إلى القصر كان ينبئ بدماره وزواله، لانه كان لون المريخ، إله الحرب.

---

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٧.

إن ارتفاع برج «ال تمن آن كي»، كان بذلك الطول وهذا المربع قد قسم إلى سبعة أقسام. وهذا يظهر، أن التقليد القديم لرباعي العالم وعقيدة السماوات السبع الأحدث، قد دمجا ببعضهما البعض.

ويمكن طبعا العثور على هكذا أفكار لاحقا لدى فلاسفة العالم. وثمة اسطورة تقول بان **فيثاغورس**، كان قد سافر إلى بابل لتعلم رمز الأعداد واكتشاف قوتها السحرية.

وتشاهد سبع سلمات في فلسفة السحر في الغالب. وفي بداية القرن السابع عشر، قام **هاينش كونرات** بتجسيد علماء في مدرج «المعرفة الأبدية»، يقومون بسلوك سبعة سلمات ليصلوا إلى النور النهائي للمعرفة، ومثلما أن الكهنة الكلدانيين كانوا يحذرون الكفرة والملحدين والفاسقين من دخول البرج، كان كونرات قد نقش في أعلى كهفه المثير للإعجاب هذه العبارة:

أيها الكافر، إبتعد! واحترز الدخول إلى هذا المكان!

وهناك صورة أكثر قدما، تم حفرها على الخشب، تظهر رجلا في هيئة الحكماء وهو يقف على السلمة الاولى من السلمات السبع. ومع صعود هذه السلمات، كان يحصل على المعرفة الإلهية التي كان قد كتب اسمها على الدرجة الثامنة أي عتبة المدينة السماوية. وفي هذه الصورة التي تجسد كتاب «العصود» ل لالي، كانت سبع سلمات هي على الترتيب: الحجر والنار والنبات والحيوان والانسان والسماء المليئة بالنجوم والملائكة، والرجل الحصيف الذي بدأ دراسته بتواضع من الحجر، كان ينال مراحل أعلى وأعلى من العلم والمعرفة لكي يصبح قادرا على درك السمو والأبدية.[1]

وبالرغم من أن برج بابل كان قد دمر مرارا وعلى مر الزمن، لكن **نبوخذ نصر** أقدم في القرن السادس قبل الميلاد على إعادة بنائه. ويشير في نقوشه إلى إصلاح ذلك ويقول:

١. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، المهارة، ١٣٧٧، صص ٣٦-٤٠.

لقد قمت بترميم معابد بابل، وزينت «ال تمن آن كى» بالطوب المشوى والحجر اللامع، ورفعت أبراجه شاهقة.

لكن الطوب والأعمدة والتمائم السحرية لم تستطع الحد من زواله، وهذا البرج الشهير، زال مع زوال عظمة بابل. إن الأنقاض والخرائب المتربة، تؤكد قصة «سفر التكوين» حيث يقول:

إن إختلاط اللغة، أنزله الوهيم [والوهيم هو الاسم الاخر لـ«يهوه» في بعض نصوص التوراة، وبمعنى جميع الآلهة أو رب الجميع]، ليحول دون تشييد البرج المدنس بالمعاصي والذنوب، لان صانعي البرج يقولون باللغة الرمزية للشرق: تعالوا نبني لأنفسنا مدينة تصل قمة برجها إلى السماء، لكي لا نتفرق في أرجاء العالم الترابي.[١]

وألم يكن في الحقيقة الوصول إلى السماوات [السحرية] وأسرارها، الدافع لتشييد زيغورات؟، ويقول «سفر التكوين»:

إن هذه الإجراءات السحرية، كان مآلها الزوال بسبب تفرق ونفاق صانعيها.[٢]

بابل، أرض الترف والملذات

ومن بين الحضارات القديمة، لم تكن أي بلاد تصل في الترف والبذخ والإنغماس في الملذات إلى ما وصلت إليه بابل. ففي بابل:

كان آلهة الفلك، أقدم الآلهة، بمن فيهم آنو والقبة الزرقاء وشمش (الشمس) ونانر (القمر) وبل أو بعل أي الأرض حيث كان جميع البابليين يعودون إليها بعد الموت.

وكل أسرة، كانت تملك إله الاسرة وكانوا يصلون له، وينثرون الشراب له في كل صباح ومساء. ولكل فرد، كان هناك رب (أو كما نقول اليوم ملائكة الرحمة)

---

١. المصدر السابق، ص ٤١.
٢. المصدر السابق.

لحمايته، وكانت تحافظ عليه من فرط الألم والغم والفرح والبهجة. وكان جن الإخصاب العديدين يحلقون حسب تصور الناس، فوق المزارع ويضفون البركة على المحصول. وربما يكون اليهود، قد اقتبسوا الحشود الغفيرة من ملائكتهم من هذا الكم الهائل لأرواح البابليين... .

وكان البابليون جعلوا هؤلاء الآلهة المختلفين، كشخصيات بطلة وصنعوا لها قصصا وأساطيرا، وقد وصل قسم كبير منها إلى اليهود و... .

ويبدو أن الفرد البابلي، لم يكن يشعر بالرضا من فكرة تحوله إلى شخصية خالدة. وكان دينه دينا أرضيا وترابيا وعمليا، وعندما كان يبتهل ويدعو ويصلي، لم يكن يطلب مكافأة في الجنة، بل كان يطلب خيرات الأرض. إنه لم يكن يستطيع مشاهدة آلهته في الطرف الاخر من القبر، رغم أن مردوك وصف في أحد النصوص البابلية بمحيي الموتى، وجاء في قصة الطوفان بان الناجين منه، يعيشون حياة خالدة. إن الفكر العام للبابليين حول الحياة في العالم الاخر، كان يشبه كثيرا فكر اليونانيين. وإن أراد أحدهم تأدية واجبه إزاء الآلهة، كان لزاما عليه تقديم قرابين للمعابد وقراءة التمائم والتعاويذ الخاصة. وبعد هذا كان كل فرد بوسعه اقتلاع عين العدو المهزوم، وبتر أيدي وأرجل الأسرى وشوي ما تبقى من جسدهم في النار، من دون أن يخشى أن مثل هذه الافعال قد تجلب سخط الآلهة.[١]

إن أبشع عادة وتقليد كان يلفت إنتباه كل غريب في بابل، أثناء الدخول إليها، هو الشئ الذي وصفه **هيرودوت**:[٢]

لقد كان لزاما على كل إمرأة بابلية أن تجلس فى معبد الزهرة لمرة واحدة طوال عمرها وتقيم علاقة جنسية مع رجل غريب. إن بعض النساء اللواتى كن يتسمن بالكبر والغرور بسبب ثرائهن، كن يحجمن عن الإختلاط بالنساء الاخريات. ولذلك كن يأتين فى عربات مغلقة

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٢٧٧-٢٨٤.

٢. Herodotus أول مؤرخ يوناني بقيت أعماله حتى عصرنا الحاضر.

إلى المعبد ويجلسن هناك مع نديماتهن وخادماتهن، لكن الطريقة التى كان يتبعها معظم السيدات لهذا الغرض، هو أن يجلسن فى المعبد ويضعن تاجا من الخيوط والحبال على رؤوسهن. وكانت مجموعة تدخل باستمرار ومجموعة اخرى تخرج منه. وكانت ممرات بخط مستقيم تفضى إلى الاَماكن التى تجلس فيها النساء. وكان الغرباء يعبرون هذه الممرات ليختاروا أى إمرأة تعجبهم. وبعد أن تجلس إمراة بهذه الطريقة فى المعبد، لم يكن لديها الحق للخروج منه إلا إذا ألقى شخص غريب قطعة من الفضة فى ثوبها، وأن يعاشرها فى خارج المعبد.

وكانت أصناف وأنماط مختلفة من النساء الزانيات يعشن فى أطراف وحوالى المعبد ويعتشن على حرفتهن هذه، وكان البعض منهن ينجح فى جمع ثروة طائلة بهذه الطريقة. وكان البغاء الدينى موجود فى غرب اسيا. وكانت عادة البغاء المقدس سائدة فى بابل، إلى أن منعته القسطنطينية بحوالى عام ٣٢٥ للميلاد. وبمحاذاة هذا الفجور والمجون الدينى، كانت المومسات فى حانات الخمر التى كن يديرنها، يمارسن الفسق والفجور الدنيوى.[١]

وقد قدم سائر مؤرخي العالم القديم، صورة مماثلة لتلك التي عرضها ويل ديورانت، عن الظروف الثقافية والدينية لواحد من أقدم الحضارات العريقة. وهذه التقارير تميط اللثام عن بعد هذه الحضارات عن التعاليم الوحيانية للأنبياء التوحيديين.

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٢٨٨-٢٨٩.

تاريخ وحضارة ايران القديمة

عندما يتم الحديث عن تاريخ «ايران» فان المؤرخين يبدأون عادة من هجرة ودخول الآريين إلى سهل ايران الواسع. السهل الذي يغطي مساحة مترامية الأطفار تمتد من سلسلة الجبال المطلة على «بحر خزر» وحتى «الخليج الفارسي» وتمر عبر سهل «دجلة» حتى وادي «السند» وهذه الهجرة الكبرى، حصلت نحو الفي عام قبل الميلاد، لكن وقبل ذلك ازدهرت حضارات عريقة في هذه الفلاة ومن ثم اندثرت بعد أن مرت بمراحل نشأتها وبقي البعض منها بين كرّ وفرّ. إن حضارة «عيلام» في شمال خوزستان ومدينة «سوختة» في «سيستان» وحضارة «جيرفت» في كرمان وسكان تلة «سيلك»[1] في كاشان و... تعد من هذه الحضارات.

إن الإيرانيين الذين دخلوا هذه البلاد، كانوا ممتزجين بالعرق الألبي وبعناصر اخرى، وانقسموا إلى قوميات المـاد والبارسيين والباكتريانيين، وكانوا يتحدثون بثلاث لغات الهندو اوروبية أي «اللغة المادية والبارسية القديمة والزند» وأقام المـاد في أراضي جبال «زاغرس» وبحر «كاسبي»، فيما أقام البارسيون على ضفاف الخليج الفارسي والباكتريانيون في الشمال أي سهل «توران».[2]

1. Sialk

٢. «تاريخ العالم»، ش. دولاندلن، ترجمة احمد به منش، إصدارات جامعة طهران، ١٣٦٧، ج ١، ص ٥٢.

وهناك روايتان مختلفتان عن تاريخ ما قبل الاسلام: الرواية التقليدية المبنية على التواريخ التقليدية (تشمل الشاهنامة) وتبدأ من أول ملك وهو **كيومرث** (وهو ملك العالم وليس «ايران» وحدها) وتشتمل على سلالات ملكية هي: البيشداديون والكيانيون وملوك الطوائف (الإشكانيون) والساسانيون. إن هذه الرواية التقليدية هي رواية أسطورية عن تاريخ ايران، وتتضمن معطيات قيمة حول الانثروبولوجيا وعلم الأساطير. والرواية الأخرى قائمة على التواريخ الخارجية (وتشمل التواريخ اليونانية والأرمينية والرومية) ووثائق ومكاسب علم الآثار (وتشمل النقوش والمسكوكات المعدنية). وبشكل عام فهي رواية علمية وحديثة. وفي هذه الرواية، فان السلالات الملكية التي حكمت ايران ما قبل الإسلام هي:

الماد والإخمينيون والسلوكيون والأشكانيون والساسانيون.[١]

وكان قوم «ماد» وقوم «بارس» شعبين من عرق واحد.

والماد الذين كانوا ينقسمون إلى ست قبائل، كانوا يمضون حياتهم في القرن التاسع قبل الميلاد عن طريق الزراعة وتربية المواشي... وقوم بارس إنقسموا إلى عشر قبائل، وكان بعضهم يتنقلون في الصحراء وأخرون يقطنون المدن ويعيشون تحت طاعة وحكم الأشوريين أو الماد.[٢]

ولم تدم سلطة ملوك الماد. ومع انتصار **كوروش** على الماد وقوم بارس، غربت شمس دولة ماد.

وفي هذه الأثناء، كان أقوى ملوك الشرق هم فرعون «مصر» ونائب **نبوخذنصر** ملك «بابل» و**كرزوس**[٣] ملك «ليدي».[٤]

وكان قوما «ماد» و «بارس» من الناحية الدينية من أتباع **زرادشت**.

وحصلت ولادة زرادشت على ما يبدو في القرن السابع قبل الميلاد، وهو

---

١. «الأمراء المجهولون»، أحمد كسروي، طهران، حامي للنشر، الطبعة السابعة، ١٣٧٧، ص ١٠.

٢. «التاريخ العالمي»، المصدر السابق، صص ٥٣-٥٤.

3. Crecus

٤. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ١٣١.

مؤسس الديانة الإيرانية التي كانت تعرف بعبادة **مزدا**.[١]

وكان **زرادشت** أو **زراتشت** أو **اشوزرتشت** نبي «ايران» القديمة وأرسى «مزديسنا».[٢]

أما فترة ظهور زرادشت، فيكتنفها الغموض في المصادر التاريخية المختلفة، رغم الدراسات العديدة التي أنجزت بشأنه وأفكاره وأعماله في ايران وسائر البلدان.

وتعتبر «رابطة الزرادشتيين الايرانيين» أن ميلاد زرادشت حصل في يوم «خرداد» من شهر «فروردين» ويصادف ٦ فروردين من عام ١٧٦٨ قبل الميلاد[٣] وتاريخ وفاته يوم ٥ «دي» ١٦٩١ قبل الميلاد.[٤]

وبشهادة التاريخ، فان ما حل على إثر توالي القرون على جغرافيا ايران الترابية والثقافية، لم يُبق سكان هذه البلاد بمأمن عن الأضرار الفكرية والثقافية والإمتزاج والإختلاط بين الأفكار والآراء، الأمر الذي ترك تداعياته على التوجهات والأداء الثقافي والمادي للناس. إن الإنسلاخ والإنفصال عن ينبوع التعاليم الوحيانية الأصيلة واستيلاء السلالات الملكية اللاهثة وراء السلطة والأنظمة الإجتماعية الطبقية والمدنسة بالنِحل المُشركة، أفسح الطريق تدريجيا أمام نفوذ واختراق الشياطين من الإنس والجن لمقدرات ومقدورات هذه البلاد وسكانها.

إن المصادر الأسطورية والملحمية وبعدها، المصادر التاريخية، أماط كل منها اللثام عن وجه من تلوث النظام الإجتماعي والسياسي في «ايران» العصر القديم وسكان هذه البلاد، شأنهم شأن سائر الحضارات التي عاصرتهم وتدنست بالتعاليم الغامضة والخالدة والعلوم الغريبة.

إن وجود الراجمين بالغيب وكهنة المعابد والسحرة في الجهاز السياسي

---

١. التاريخ العالمي»،المصدر السابق، ص ٥٢.

٢. «قاموس اللغة الفارسية»، محمد معين»، ج ٥، الأعلام، ص ٦٤٨.

٣. «الرد على التساؤلات الدينية للزرادشتيين»، أردشير خورشيديان، طهران، فروهر للنشر، الطبعة الثانية، ١٣٨٧، صص ١٧-٢٧.

٤. المصدر السابق.

والاجتماعي للسلالات الملكية وتوجهات رجال الدين والمسؤولين عن الشؤون الدينية، أدى إلى تسرب السحر والشعوذة وبالتالي العلوم الغريبة في الطبقات المختلفة من الحياة الإجتماعية للإيرانيين.

السحر في ايران القديمة

ولم يكن الإيرانيون مثلهم مثل سائر الأمم وسكان الحضارات القديمة، منزهين عن العلوم الغريبة (السحر والشعوذة والكهانة وعلم التسخيرات و...).

وكان السحر موجودا في «ايران» القديمة بأشكال وأنماط مختلفة.

وفي عامة الأعمال الملحمية بما فيها «الشاهنامة» و «بهمن نامة» و... جاء الحديث على ذكر حضور الكهنة والسحرة في بلاط الملوك واستعانة الأبطال الإيجابيين والسلبيين بالسحر للتغلب على منافسيهم. وتكتب «موسوعة مزديسنا» في توضيح مفردة السحر:

إن مفردة ياتو[١] التى تشاهد كثيرا فى الاَقسام المختلفة من كتاب «أوستا» ماعدا «الغات» وباستثناء عدة فقرات، وردت دائما مع الحورية، وتعنى السحر. وتحورت هذه المفردة فى اللغة البهلوية إلى ياتوكية (السحرى) وياتوک (السحر). وياتو فى كتاب «أوستا» هى بنفس المعنى الذى يستخدم اليوم فى اللغة الفارسية للسحر. وتحدث «أوستا» بقوة ضد السحر واعتبره من كبائر الذنوب. وربما أريد من ذلک السحرة ومجموعة الشياطين السحرة والمُضلين والمُخادعين.[٢]

وجاء الباحثون الغربيون في أعمالهم على ذكر «مُغان» بانه أول ساحر،

---

١. Yato: وتعني السحر بلغة الاوستا.

٢. «موسوعة مديسنا»، جهانغير اوشيدري، مركز للنشر، الطبعة الاولى، ١٣٧١، ص ٢٢٩. وجاء في «موسوعة مصاحب» حول مفردة السحر: إن السحر هو فن تسخير القوى الطبيعية وفوق الطبيعية بواسطة التمائم والتعاويذ والممارسات الخاصة الاخرى بطقوس خاصة. «موسوعة مصاحب»، غلام حسين مصاحب، الشركة المساهمة لكتب الجيب، بي تا، ج ١.

واعتبروه زعيم السحرة في العالم. لدرجة أن الكثير من الباحثين يرون أن مفردة Magic على تواصل وترابط مع مُغان والمجوس ونابعة منهما. كما أن مفردة Magus تعني «مُغ» والساحر.

وقد استخدمت مفردة Magic بمعنى السحر والسحري والمذهل والفتان كما أستخدمت مفردات كثيرة بنفس هذه المعاني.

وكانت إستخدامات السحر في «ايران» القديمة، مثلها مثل الحضارات السالفة، مختلفة ومتباينة، وكان النوعان من السحر أي السحر الأبيض والاسود[1] سائدين. كما كان السحر الطبي والسحر العلاجي يتمتعان بمكانة لدى الإيرانيين القدامى وعاش «مغان» منذ القدم مع هذه العلوم الخفية.[2]

نحن نعتبر جماعة المُغ، بانهم علماء العلوم المكتومة واساتذة المعرفة الباطنية والرمزية، ممن يستخدمون معرفتهم وعلمهم لمصلحتهم ومصلحة سائر الأناس.

إن المغ هو ساحر أبيض وحريص على سبر أغوار الطبيعة والتأمل فيها أكثر من العجائب والغرائب، وهو في ضوء هذه التأملات قادر على كشف القوى الفاعلة في الاشياء التي تعد عادية ومعروفة بالنسبة للاخرين.

وبالنسبة له، فان قدرة الله ليست كامنة في ذات أحديته وحدها، بل أنه يجدها في أي من الكائنات. والحكماء الثلاثة الذين تابعوا كوكب **عيسى المسيح**عليه السلام كانوا من المغ. ولقرون فقد شغل هؤلاء المغان الثلاثة، فكر وذهن الحكماء وعلماء الدين. وقال البعض أن هؤلاء كانوا منجمين، تخلوا عن علمهم بعد رؤية المسيحعليه السلام، لكن اخرين أكدوا أن هؤلاء كانوا حكماء وحصفاء صادقون، تعقبوا علائم السماء التي أوصلتهم إلى «بيت اللحم» وبلا شك، فان هؤلاء كانوا قد ادركوا بان هذه العلامة [كانت] كوكب حقيقي في السماء وهي نور جاذب لنورهم الباطن أو ضميرهم الحي.

---

١. السحر الأسود هو السحر الحقيقي والمؤذي وكان يسمى بهذا الإسم في العصور الوسطى.

٢. «السحر في ايران القديمة والديانة الزرادشتية»، مجتبى دماوندي، مجلة الدراسات الايرانية، مركز بحوث الثقافة واللغات الايرانية، السنة الخامسة، العدد العاشر، ١٣٨٥، (جامعة الشهيد باهنر بكرمان)، صص ٩١-١٠٧.

وكان ملوك وحكام إمبراطوريات الشرق، لديهم في الغالب مثل هؤلاء المغان في بلاطاتهم. وكان هؤلاء مستشاري الملك... .

وعلى النقيض من الرمالين والمشعوذين الذين كانوا يسحقون ويزعزعون أساس المجتمع، فان المُغان كانوا الزعماء الروحيين للمجتمع ومنادي الأنبياء، لكن قدرتهم زالت في النهاية ونسبت قدراتهم وخصائصهم إلى قديسي الدين الجديد.[١]

إن مفردة السحر ومشتقاتها بما فيها السحري والسحرة وموضع السحر وعبدة السحر وأعراق السحر، وردت تقريبا ١٤٨ مرة في «الشاهنامة» ومعظم إستخدامات السحر في الشاهنامة تأتي بمعنى الخداع والمكيدة والحيلة. ويبدو أن الشاعر الملحمي الايراني الكبير، كلما أراد إظهار حقارة ودنائة أحد ما، إستخدم مفردة السحر. ونرى مصداق هذا المفهوم من السحر في «قصة سياوش»، فتريد **سودابة** من إمرأة ساحرة، أن تعطيها عقارا تستعمله لكي تسقط الجنين الذي في رحمها وتظهر بان الأولاد يعودون إلى **كاووس**، وماتوا إثر الإيذاء الذي مارسه **سياوش**.[٢]

وهذه التهمة أسفرت عن تشرد سياوش وموته بالتالي. ومن النساء الساحرات الأخريات في الشاهنامة، يمكن الإشارة إلى «حواجز رستم السبعة واسفنديار». ففي الحاجز الرابع، يشهد رستم حفلة وسهرة. وتظهر إمرأة جميلة، تمسك بطبلة بيدها وتغني. ويندهش رستم من رؤية هذه المرأة الفتانة وهي في صحراء نائية وبعيدة، ويأتي على ذكر الإله. وعندما سمعت المرأة إسم الإله، يسود وجهها وتتحول إلى إمرأة عجوز بشعة. فيقبض عليها رستم ويقتلها.

وفي فقرة أخرى من قصة الحواجز السبعة، عندما يتوجه رستم إلى «مازندران» لإنقاذ كاووس ومرافقيه، يطلع بانهم فقدوا بصرهم وأصبحوا مكفوفين على إثر

---

١. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ج ٢، صص ٤٦٧-٤٦٨.

٢. «السحر والشعوذة في شاهنامة الفردوسي»، شكوفة باغبان، مجلة رشد للغة والآداب الفارسية، للمزيد راجع مقالة «السحر والشعوذة في الشاهنامة»، بقلم هاشم محمدي، والتي نشرت في مجلة الادب واللغات، العدد ١٩، تير ١٣٨٣، صص ٤١-٤٥.

سحر قام به عفريت أبيض، والسبيل الوحيد لعلاجهم هو دم مخ وكبد هذا العفريت الأبيض. ويخوض **رستم** قتالا شرسا مع هذا العفريت وينتصر عليه ويرسل بكبده إلى **كاووس** ويعيد له ولمرافقيه بصرهم.[١]

ففي الكثر من الحوادث والقصص الواردة في كتاب «الشاهنامة» يمكن مشاهدة موطئ قدم وأثر للسحر والعمل السحري. وكل هذا مؤشر على أن السحر كان معروفا بالنسبة للإيرانيين الذين أتخذوا تمهيدات وإجراءات لصيانة وحماية أنفسهم من السحرة.

ونواجه في الشاهنامة أحداثا، تختفي فيها الشخوص، مثل إختفاء اكوان العفريت... .[٢]

وتم في الشاهنامة تقديم الضحاك مربي الثعابين كأول ساحر ومشعوذ، إذ كان يجمع عسكر السحرة ويعيش في «بلاد السحر».

لقد كان الضحاك العابد للسحر

تطاول عليک من ايران[٣]

وكان ثعبانان على كتف الضحاك الساحر

فما كان منه أن يدمر ايران[٤]

وقبل دخول الآريين إلى «بلاد ايران» كان يعيش فيها رجال يملكون حضارة وثقافة خاصة بهم، وبعد دخول الآريين أثروا عليهم أيضا.

إن الأعراق المحلية لنجد ايران وفضلا عن تقبلهم للآثار الثقافية والمادية لـ«بين النهرين» في الالفية الرابعة قبل الميلاد، كانوا يقيمون هم أيضا تواصلا قوميا وثقافيا أعرق مع سكان بين النهرين. وفي الحقيقة وعلى الارجح، كانت هناك وحدة ثقافية بين أهالي غرب ايران والأعراق الأولى التي رحلت من نجد ايران إلى

١. المصدر السابق.
٢. المصدر السابق.
٣. «الشاهنامة»، ابوالقاسم الفردوسي، ج ١، ص ٦٠، الأبيات ١٥٨-١٦١.
٤. المصدر السابق.

جنوب «بين النهرين»، وأسست حضارة بين النهرين.[١]

وقد جاء الفرعان الإيرانيان للآريين إلى أرض «اسيا الوسطى» العامرة في الألفية قبل الميلاد وإلى «نجد ايران» في مطلع الألفية الأولى، واختلطوا بالأهالي المحليين غير الآريين الذين كانوا يقطنون هذه الأرض وبدأوا حياة مشتركة. ومن كلتي المجموعتين، ظهر قوم جدد أطلق عليهم على مر الوقت إسم الإيرانيون، لكنهم كان لهم عرقا وثقافة مختلطة وكان هذا شيئا طبيعيا.[٢]

إن تقديم الآلهة القديمة لبين النهرين وايران القديمة من متعددة الآلهة إلى التثليث ومن ثم الوصول إلى إله واحد، بطريقة خاصة لدى الايرانيين القدامى وسكان بين النهرين، يستحق بحثا ودراسة معمقة. وفي هذا الخضم، فان الأدوار السحرية للآلهة ملفتة.[٣]

وكان العيلاميون يؤمنون بان آلهتهم تملك قوة خارقة وغامضة تدعى Kiden أو Kiten. وكان كيتن أو كيدن يملك قوة سحرية وقوة إلهية، إذ كان قادرا على حماية إو إبادة الاخرين. وكان كيتن يقدر أن يتخذ شكلا ماديا. وكان الملوك يقيمون سلطنتهم وسطوتهم بمساعدة كيتن. وكان دين بين النهرين يؤمن بشدة بالروح ويبدي إهتماما كبيرا بتقاليد وطقوس الإخصاب. وكان الانسان يرى نفسه في حياته العادية بين قوتين هما الخير والشر، واللذان كانا يمثلان الآلهة والعفاريت وكان هؤلاء يمسكون بمصير وقدر هذا الانسان... .

ومن أجل التخلص من شرور وتعاسة العفاريت، كان الأناس يعلقون على رقابهم التمائم والتعاويذ. وهذه التعاويذ امتلكت صورا لاحقا ونقشت عليها أدعية سحرية. وكلما كان أحدهم يُصاب بمكروه، كان السحرة يقيمون طقوسا خاصة من أجل إنقاذه. وكان **أنكي** إلها محبوبا وأفضل إله في مجال السحر ووهب علمه إلى إبنه **مردوخ** لكي يحل محل الأب وجميع الآلهة، لكن النار كانت

١. «بحث في أساطير ايران»، مهرداد بهار، طهران، آكاه، ١٣٧٨، ص ٣٨٤.
٢. المصدر السابق، ص ٣٩١.
٣. «السحر في ايران القديمة والديانة الزرادشتية»، المصدر السابق، ص ٩٤.

أقوى من جميع القوى لإحباط مفعول السحر الأسود. وفي «بين النهرين» كان الفكر الديني المبني على المصير، قد صمم من قبل وكان الجبر هو الذي يحكم ويسود. فالحظ الجيد أو السيئ، كان بيد أرواح مسلطة ومهيمنة على حياة الناس وسلوكهم، وحتى أن عفريتين كانا موجودين بجانب كل إنسان، أحدهما مسؤول عن السلوك الردئ والاخر مسؤول عن السلوك الجيد. وكانت طقوس الحداد، سحرية، لان تساقط الدموع كان يؤدي إلى تساقط الأمطار من السماء أو بكاء الآلهة بشدة. وكان التنبؤ سائدا أيضا في بين النهرين، وكان يتم تأسيسا على الأعمال السحرية بما فيها بقر بطون الحيوانات والإهتمام بتحليق الطيور والقتال بين الطيور وأشياء اخرى.[١]

وكما ذكرنا سابقا، فان الأساطير التي كانت منتشرة بين عامة الحضارات والثقافات القديمة، كانت تمتلك مدلولا سحريا، وبعبارة أخرى، فان الكائنات الماورائية المتعلقة بعالم االشياطين بمن فيهم العفاريت والغول، تجسدت في صورة هذه الكائنات الأسطورية. وبناء على ذلك كان مجمل هذه الكائنات الأسطورية تحمل الأفكار الشيطانية السائدة في تلك العصور القديمة.

ويقول البير مالة حول ديانة قوم ماد وبارس[٢]:

إن ديانة قوم مـــد [ماد] وبارس كانت تختلف عن ديانة الاَقوام الاخرى فى الشـــرق كليا، ووفقا للروايات القديمة، فان عالما يدعى زرادشـــت، وضع قوانين هؤلاء القوم. ويقال بان زرادشـــت كان من الأُسرة المالكة وأمضى فترة شبابه فى خوض صراع واشتباک مع الشياطين. وذات يوم وفى عالم الخلسة، قام هُرمز [اهورامزدا] الرب باختطافه وسلم له قانونا

١. «بحث في اساطير ايران»، المصدر السابق، صص ٤٠٨-٤٤٠.

٢. إن أقدم الأقوام الايرانية التي ورد اسمها في التاريخ كانت بارسوا (Parsua) و ماداي (Madia)، وكانا قومين أقرباء لبعضهم البعض، وتأسست الدولة الإخمينية لاحقا من رحم سلالة الماد. وفي العالم القديم، لم يكن يفصلوا بين الماد والبارسيين وحتى أن الشاهنشاهية كانوا يعتبرونها دولة الماد وجميع الايرانيين أحيانا. («الأدب البطولي»، محمد مهدي مؤذن جامي، طهران، قطرة للنشرة، ١٣٧٩، ص ٨٠).

باســـم «زند» و «اوستا» ومذاک، قام زرادشـــت بتبليغ الكلام المقدس لأهل «ايران»[١]

إن التاريخ الحقيقي لولادة **زرادشت** مجهول للغاية. وتقول الروايات الايرانية أنه ولد في حوالي ٦٦٠ قبل الميلاد، ورغم وجود جميع الإحتمالات البعيدة، فان معظم الباحثين الجدد، قبلوا بذلك.[٢]

إن أحد أوجه حياة زرادشت، يشبه الأسطورة ويربط بين عالم الأسطورة والسحر، مثلما ورد في «القرآن» أن كل نبي بعث لهداية الناس، نسب إليه المنكرون، السحر. ولدينا مثل هذا الحكم والتقييم بشأن زرادشت أيضا. فعندما جاء زراشدت إلى بلاط غشتاسب وقال له بالا تدفع الاتاوة ل أرجاسب، فان عفريتا أوصل هذا الكلام إلى أرجاسب الذي قاله لقومه:[٣]

لقد جاء أحدهم بالسحر

وحل فى ايران بدعوى النبوة

ويكتب إلى **غشتاسب**:

منذ أن جعلک الرب، ملكا

فان ساحرا مسنا أضلک عن الطريق[٤]

لقد كان السحرة وقبل ولادة زرادشت وفي فترة طفولته بصدد القضاء عليه، لكن أيا منهم لم يوفق في ذلك. وقبل الولادة، جعلوا أمه **دوغدو، تمرض**، وهو يريد اللجوء الى ساحر كبير يدعى «سترغ» (Starag) لكن **هرمز** [اهورامزدا] الرب يمنعه، وكان سبعة سحرة بصدد القضاء عليه، لكن أيا منهم لم ينجح في ذلك، ويتغلب الطبع الإلهي لزرادشت على السحر [سحر السحرة].[٥]

---

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٠.
٢. «التاريخ الشامل للأديان»، جان. بي ناس، ترجمة علي اصغر حكمت، اصدارات مركز الثورة الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٧٠، ص ٤٥٣.
٣. «السحر في ايران القديمة والديانة الزرادشتية»، المصدر السابق، ص ١٠٠.
٤. «شاهنامة الفردوسي»، المصدر السابق، ج ٦، الابيات ٧٢-٧٥.
٥. «بحث في اساطير ايران»، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

ويستشف من دراسة «أوستا» والكتب الزرادشتية، أنهم اعتبروا السحر الأسود أو السحر المؤذي بانه ذنب وإثم، وتنطوي هذه الديانة على التعاويذ والتمائم والرقى ومُحبط مفعول السحر والطلاسم وحماية الذات إزاء أضرار السحرة بما في ذلك إخفاء الأظفر والشعر المقصوص والحالات السحرية الاخرى أو السحر الابيض، وإحدى النقاط المهمة تتمثل في العلاج بالسحر الذي كان يمارس على هيئة الدعاء لعلاج المرضى.[١]

ونظرا إلى ما ذكرنا باقتضاب، يمكن إستنتاج أن السحر والسحرة كانا سائدين في حضارة وثقافة ايران القديمة شأنها شأن سائر الحضارات القديمة، ومنذ الألفيات السالفة. وكانت درجات من هذا الموضوع رائجة بين عامة الناس ودرجات أعلى بين أصحاب السلطة والمناصب الملكية والحكم.

وتوجد عفاريت أخرى في الديانة الزرادشتية، والتي تمنع الانسان من خلال وساوسها من ممارسة الدعاء والعبادة الفردية الحقيقية، بما فيها «ترومئيتي» أو عفريت الغرور و «مه هرخت» أو عفريت الكلام الكذب و «زروان» أو عفريت الشيخوخة و «اكتاش» أو عفريت السوء و «ورنا» أو عفريت الشهوة و في درجات أدنى من هذه المنظومة الشيطانية، هناك عفاريت الكذب والنجاسة والطلسم والنحس والضلال وكذلك المارد.[٢]

[إن معظم المصادر الزرادشتية قد زالت وأبيدت] ومن بين الأقسام المتبقية، هناك سبع عشرة أنشودة تعرف باسم «الغات» ومنسوبة إلى الزرادشت... وكتاب يسمى «ونديداد» ومجموعة من القوانين المضادة للعفاريت، كتبت بعد القرن الخامس قبل الميلاد... .[٣]

ويكتب **بوليس مري**، مدون تاريخ الديانة الزرادشتية، في تعريف مفردة ياتو (Yato):

١. «السحر في ايران القديمة والديانة الزرادشتية»، المصدر السابق، ص ١٠٢.
٢. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦.
٣. المصدر السابق، ص ٥٠.

إنها تعنى مبدئيا مجموعة مـــن العفاريت وكانت مفردة هندية – ايرانية مشتركة. وكانت تطلق بين الايرانيين على الأُناس الذين كان باستطاعتهم إرادة إستحضار هذه القوى أى السحرة والمشعوذون.[١]

وهذا الجزء المقتضب إنطوى على نظرة سريعة وخاطفة لعالم الخلود في «ايران القديمة» ومكانة الأصناف المختلفة من السحر في تلك الحقبة. وإن أردتم المزيد، فالرجاء مراجعة المصادر والدراسات المفصلة التي تعنى بهذه القضية.

١. «السحر في ايران القديمة والديانة الزرادشتية»، نقلا عن: بوليس مري، ١٣٧٤، «تاريخ الديانة الزرادشتية»، ترجمة همايون صنعتي زادة، طهران، توس للنشر، ص ١٢٦.

حضارة مصر القديمة، السحر والعلوم الغريبة

ولا يمكن المرور على مصر مرور الكرام، لانها تتمتع بموقع خاص أكان من ناحية القدم التاريخي أو في مجال التأثير الثقافي القوي. ويمكن القول بصراحة بان أيا من الحضارات القديمة، لم تضطلع بدور خالد مثلما اضطلعت به «مصر» في الجغرافيا الثقافية والمادية لقبيلة اللعنة. بعبارة أخرى، فان تقاليد العصر المصري القديم وثقافة الكهانة القديمة فيها، يجب اعتبارهما بمثابة معلمي ومدربي الكثير من الأمم لاسيما الغربيين اللاهثين وراء السلطة والهيمنة. ويقول **ويل ديورانت** حول بدء تعرف الغرب على مصر:

> **إن الشـــئ الوحيد الذى كان يعرفونه [الأُوروبيون] عن مصر فى العصور الوسطى، هو أن هذه البلاد كانت إحدى مستعمرات الروم وأحد المراكز التى انتشرت فيها الديانة المسيحية. وكان الناس يظنون فى عصر نهضة العلم والاَدب (عصـــر النهضة) بان الحضارة بدأت مـــن اليونان. وحتى فى عصر التنوير الفكرى، حيث كانوا ينجزون بذكاء تام دراســـات حول «الصين» و «الهند»، لم يكونوا يعرفون عن مصر شـــيئا ســـوى الاَهرام. ويجب القول بان الدراســـات المصرية تعد إحدى نتائج النزعة السلطوية لنابليـــون. وعندما بدأ هـــذا القائد الكبير من أهالـــى «كرس»[1] هجومه**

1. Crose

الشـــهير عام ١٧٩٨ للميلاد على «مصر»، أحضر معه عددا من الرسامين والمهندســـين ليشـــاهدوا هذا لبلد الاثرى القديم ويرسموا خرائط عنه. وكان عـــدد من العلماء يرافقون نابليون فـــى هذا الهجوم، ليفهموا تاريخ مصر أفضـــل مما كتبه مؤرخو تلك الفترة. وكانـــت هذه اللجنة العلمية لنابليون هى التى اكتشـــفت للعالم الجديد «معابد الاقصر» و «كرنک» وكتاب «توصيف مصر» (١٨٠٩-١٨١٣م) الذى وضعته هذه اللجنة بعد عودتها كتقرير قدمته للجمعية العلمية الفرنسية، شكل أول خطوة اتخذها العلماء لدراسة وسبر أغوار هذه الحضارة المنسية.[١]

وسنرى تاليا، ما اذا كان الغرب لاسيما قادة المحافل السرية، حقا غافلين وعديمي الإطلاع على مصر وثقافتها وتقاليدها العريفة، إلى هذه الدرجة، في حين أن **نابليون بونابرت** كان واحدا من أعضاء هذه المحافل، أو أنه برغم المعرفة القديمة بالتقاليد المصرية، فانهم كانوا بصدد المزيد من التعرف ودراسة الأعمال والآثار الثقافية والحضارية المتبقية من الأعصار القديمة لمصر، بشكل أدق؟

ومن بين التواريخ المتوافرة لدينا من شعوب العالم، هو تاريخ الشعب المصري، الذي هو أقدم من كل التواريخ، لانه يأتي على ذكر وقائع حدثت في عصر أبعد من خمسة الاف عام من قبل. إن التعرف على تاريخ مصر، منوط بكشف **هيروغليف**، أي خط الشعوب القديمة لتلك البلاد، وهذه العقدة فكت وفتحت للمرة الاولى عام ١٨٢٢ للميلاد على يد **شامبوليون** الفرنسي.[٢]

وهنا يتبادر هذا السؤال إلى الذهن وهو، إن هؤلاء القوم الذين أسسوا حضارة كبرى قبل جميع الأمم والشعوب الاخرى، من اين أتوا؟

ويمكن القول بان هذا السؤال لا جواب له. فاهالي مصر عاشوا منذ القدم بجانب نهر «النيل»، وهناك وضعوا أساس حضارتهم شيئا فشيئا في أزمة ما قبل

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٤.
٢. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، البير ماله، ص ١٥.

التاريخ.[١]

إن ما يتبادر إلى ذهننا عن مصر وتاريخها الممتد على مدى آلاف السنين، هو الملوك القدماء لهذه البلاد، أي الفراعنة. وكان فراعنة مصر ينقسمون إلى ستة وعشرين سلالة ويمتد تاريخهم لنحو ثلاثة آلاف عام.[٢]

وأول فرعون مصر، كان يدعى **مِنس**[٣] وكان ملك «تيي نيس» (مصر العليا).

تقسيم تاريخ مصر

ومنذ عهد منس الذي أسس أول سلالة، فقد حكمت ستة وعشرون سلالة مصر على التوالي. ويمكن تقسيم تاريخ دورات الفراعنة إلى أربع دورات رئيسية.

الدولة القديمة، وتطلق على الحقبة التي كانت فيها مدينة «منفيس» الواقعة في مصر السفلى، حاضرة سياسة الدولة المصرية. وأشهر سلاطين هذه الدورة هم **كيوبس** و**كفرن** و**مي كرينوس** (حوالي ٢٧٠٠-٢٨٠٠ قبل الميلاد)، وقد بنى هؤلاء أهرام مصر الثلاثة.

وبعد ذلك، أعطت الدولة القديمة مكانها ل الدولة الوسطى. وفي هذه الحقبة، غادر شاهين فرعنت منفيس واستقر في حصن «تب» (مصر العليا). وهذه الدولة وبعد خمسمائة عام من الإعمار والإنماء، انهارت على إثر هجوم «قوم هيكسس» الذين جاؤوا من اسيا وكانوا رحلا وناهبين يعيشون في الخيام. (حوالي ١٧٠٠ قبل الميلاد).

ولم يمض وقت حتى تحررت مصر من سلطة قوم هيكسس وأصبحت «تب» مرة اخرى الحاضرة. وكان فراعنة هذه الحقبة يتقدمون على الجميع في الحرب وفتح البلدان وأوصلوا مصر إلى ذروة مجدها، بمن فيهم وأشهرهم هو **توتمس الثالث** (حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد) و**رامسيس الثاني** (حوالي ١٣٠٠ قبل

١. المصدر السابق، ص ٢٥.
٢. المصدر السابق، ص ٢٧.

3. Menes

الميلاد). وفي الدورات اللاحقة، وبسبب الحروب الداخلية والهجمات المتتالية، ضعفت وتزعزت الدولة المصرية وتجزأت. ورغم أن فراعنة السلالة السادسة والعشرين الذين كانوا يحكمون في «سائيس» أعادوا لها اقتدراها ومجدها، لكن الوقت كان متأخرا وكان انتصار الايرانيين في عام ٥٢٥ قبل الميلاد قد وضع نهاية لاستقلال مصر بالكامل.[١]

ولماذا شيد هؤلاء القوم، الأهرام؟ ولا شك إنهم لم يقصدوا بذلك إقامة معلم أثري ومعماري كبير، بل أن هذا العمل أنجز لغرض ديني بحت. وكانت «أهرام مصر» مقابر تحولت من صورتها الأولية تدريجيا وأصبحت بهذا الشكل.

وكان ملك تلك الحقبة، مثله مثل جميع الناس، يؤمن بانه في كل جسم حي، هناك كائن ولد معه يدعى «كا» وهذا المخلوق لا يموت عندما يلفظ المرء أخر انفاسه. وكان الاعتقاد السائد هو، أنه كلما بقي جسد الشخص الميت لوقت أكثر ويعطونه الطعام بشكل أفضل ويحفظ من الفساد، فان «كا» تبقى كذلك. إن ضخامة وشكل ووضع استقرار الهرم، كان يعد إحدى وسائل البقاء ومقاومة الموت.[٢]

وبين فراعنة الدولة القديمة، كان أشهرهم، ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة والمعروفين ب كيوبس وكفرن ومي كرينوس، وكانوا يعيشون بحوالي القرن ٢٨ قبل الميلاد. وبواسطة المباني العظيمة القائمة الدائمة التي بناها السلاطين الثلاثة المذكورين كمساكن أبدية لهم، يمكن اليوم فهم إلى أي حد ومدى بلغت سلطتهم. فالمباني المذكورة المعروفة بالأهرام الثلاثة، قائمة على مسافة عشرة الاف ذراع من شمال «منفيس» بالقرب من «الجيزة» ومن خلال الصورة، لا يمكن لأي أحد تصور عظمة وجلال هذه المباني. وأي مسافر غير قادر على النظر إليها ولا يعتبر نفسه طفيفا وتافها.

---

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، صص ٢٨-٢٩.
٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٩.

ومن بين هذه الأهرام فان الأكثر ارتفاعا فيها هو «هرم كيوبس» إذ بلغ ارتفاعه ١٤٦ ذراعا (واليوم لا يصل إلى أكثر من ١٣٧ ذراعا) فيما يبلغ طول ضلعه المائل ٢٧٧ ذراعا.

وهذا الهرم، هو أعظم وأضخم بناء حجري يوجد في الربع المسكون. و «هرم كفرن» أصغر منه حجما قليلا ويبلغ ارتفاعه ١٣٦ ذراعا. أما «هرم مي كرينوس» فهو أصغر بكثير ويصل ارتفاعه إلى ٦٦ ذراعا.[١]

معتقدات مصر الدينية

لقد كان المصريون يحرصون بشكل خاص على الدين، ومع ذلك، كانوا يعتبرون قوما مشركين بسبب عبادتهم لآلهة متعددين. وكان هؤلاء حتى يقدسون بعض الحيوانات ويعبدونها، وفضلا عن ذلك كانوا يعبدون فرعون بجانب عبادة الآلهة.

وهذا الكيفية من العبادة، جعلت «مصر» تواجه معابد عديدة وقديمة وصاحبة نفوذ. ويقول هيرودوت:

من بين أبناء البشرية، كان المصريون ملتزمين أكثر من الاخرين بالدين. وقد تمسك هؤلاء القوم طوال فترة تاريخهم من البداية وحتى النهاية، بأنواع المعتقدات والطقوس الدينية التي يصعب علينا الان فهمها، لفترة تزيد عن ثلاثة الاف عام، ولم يتخلوا عنها.

ولم يكن الامر أن يعبد أهالي مصر عدة آلهة مشتركين، بل أن كل مدينة كان لها آلهتها الخاصة بها. ومع ذلك، حلت حقبة انتشرت فيها عبادة بعض الآلهة في أرجاء مصر. وكلما أصبحت مدينة أهم وأكثر اعتبارا ومنزلة، كانت تزيد من شأن ومكانة آلهتها، مثلما أن الثور الازرق الذي كان يعبد في البداية في مدينة «منفيس»، تحول إلى معبود لكل مصر، كما أن شاهين فرعنت حط على رؤوس

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٣٠.

سلاطين «تب»، وتحول إله تلك المدينة والذي كان يعرف بـ«آمن» مقبولا في جميع أرجاء مصر وأصبح رب الأرباب.

ولذلك كان هناك نوعان من الآلهة في «مصر»، النوع الاول، الآلهة المحليين الذين كانوا يُعبدون في مناطق خاصة، والاخر الآلهة العامين الذين كانوا يعبدون في جميع أرجاء مصر.[١]

لقد كان الدين في مصر أعلى من كل شئ وأدنى من كل شئ. فقد كان الدين سائدا في تلك البلاد في كل من المراحل وبأي شكل من أشكاله، بدء من «التوتم» وصولا إلى الفلسفة الإلهية وعلم اللاهوت، وكان أثره واضحا في الآداب وشكل الحكومة والفن وكل شئ اخر ماعدا الأخلاق. وكانت مظاهر الدين متنوعة في مصر، وكانت هذه التجليات كثيرة بشكل مذهل، بحيث أنه لم يكن هذا العدد من الآلهة موجودا في أي مكان اخر من العالم ما عدا «الروم» و «الهند» إن البحث والدراسة في أحوال شعب مصر، بل أحوال الأفراد والاشخاص، لن يكون ممكنا من دون البحث في الآلهة الذين كان هؤلاء القوم يعبدون.

وكان الانسان المصري يقول بان بداية الخلقة بدأت من السماء، وهذه السماء ونهر النيل، يعتبران أكبر أرباب له. ويرى أن الأجرام السماوية الغريبة، لم تكن جسما فحسب، بل كانت تظهر الهيئة الخارجية للارواح الكبيرة للآلهة صاحبة الإرادة، وهذه الإرادات التي لم تكن متناسقة مع بعضها البعض دائما، كانت السبب في نشأة كل هذه الحركات الفلكية المعقدة والمتغيرة.[٢]

إن معابد ومقابر ومباني مصر القديمة، كانت مليئة بالنقوش والتماثيل الدينية. وكل من هذه الصور المنحوتة على جدران المقابر، ترمز إلى إله كان منشغلا بالشؤون الدينية للموتى.

إن التقليد المتمثل في تحنيط الموتى الذين كانوا بشكل رئيسي من كبار

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، صص ٤١-٤٢.
٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٢٦٥.

الشخصيات بمن فيهم الفراعنة والملوك والكهنة، يظهر إيمان المصريين بالحياة ما بعد الموت.

إن إيمان المصريين القدامى بالتحكيم والنظر في أعمال الانسان بعد الموت على يد القوى الإلهية، كان متعلقا بأول دورة للحضارة المصرية والذي بقي بهذا الشكل عند جميع الأجيال. إن إعتقاد المصريين بالحكم على أعمال الموتى، قديم قدم إعتقادهم بخلودهم.

إن المصريين القدامى كانوا يؤمنون بالكثير من الكائنات الغيبية، وكان لهم آلهة باسماء وصفات مختلفة. وعندما تسبب تعدد الآلهة بمشاكل، قلصوا من عددها. وحتى أنهم آمنوا في فترة قصيرة بإله الشمس فقط. وفي تلك الحقبة، انتشر الإيمان بالوهية حيوانات مثل الأسد والتمساح وبعض الطيور والقوارض وبعض الحيوانات الأليفة بما فيها الضأن. كما كانت عبادة القطة لديهم تكتسي اهمية كبيرة. وكان الإيرانيون في العصر الإخميني قد رسموا في أحد حروبهم مع المصريين، صورة قطة على دروعهم، لذلك امتنع المصريون عن الرمي والضرب بالسيف إحتراما لتلك الصور، وبالتالي كان النصر حليفا للايرانيين. ودخلت الكائنات الخيالية برأس حيوان وجسم انسان في معتقداتهم وصنع هؤلاء أوثانا بهذا الشكل وعبدوها. وأثناء السفر عبر «نهر النيل» وتحسبا لخطر التماسيح الآكلة للحوم البشر، كانوا يذهبون بداية إلى معبد التماسيح ويدفعون الصدقة والنذور، للتأمين على أرواحهم حسب ظنهم.[١]

وأهم صفة مميزة للدين في مصر، كانت الأهمية التي أولوها لفكرة الخلود.[٢]

١. «التعرف على الديانات الكبرى»، حسين توفيقي، مؤسسة دراسة وصياغة كتب العلوم الانسانية للجامعات، طهران، ١٣٧٩، صص ٢٤-٢٥.

٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٢٤١.

وبشكل عام، بدأت الديانة في مصر من عبادة التوتم[١] والأنيمية[٢] وتجاوزت التعددية، لتصل إلى التوحيد. بعبارة أخرى، كانت ديانة المصريين في تلك الحقبة، حصيلة أكثر من أربعين قرنا من التحول والتغيرات الإجتماعية التي طرأت في تلك البلاد من جراء التعاطي مع الافريقيين والساميين و... .

عبادة الشمس

من حيث تكثر وتعدد الآلهة والأرباب، فان أي حضارة لا تضاهي مصر القديمة.

لقد كان أهل مصر يعبدون كل آثار الطبيعة، سواء تلك التي كانت تفيد أو تلك التي كانت تجلب الكوارث. بمن بيها عبادة الشمس التي كانت تشرق في كل صباح على سماء مصر، وكانت هذه العبادة هي الأكثر شيوعا ورواجا. وفي معظم البلاد فان الإله المعتمد كان الشمس التي كانت تسمى باسم في كل مكان. إن المظاهر والأسماء المتعددة لهذا المعبود، رتبت الأرباب الوطنيين المعظمين لمصر. ومن بين هذا الجمع، تفوق البعض على الاخرين من حيث الصيت والشهرة، مثل هوروس، رب نوع الشمس المشرقة التي كان يجب أن تقاتل دائما ست أو طيفون الذي كان عفريت الظلام. وكذلك أزيريس رب نوع الشمس، وغارب وزوجته ايزيس ربة نوع السماء والقمر ورع مظهر جلال وكمال الشمس وإله السماء.

وكان أهل مصر يؤمنون بان معظم الآلهة، وحتى الشمس، ترغب في أن تظهر

---

١. توتم Totem، في الأديان البدائية، توتم القبيلة، عبارة عن رمز يحمي القبيلة. وهذا الرمز يمكن أن يكون حيوانا أو نباتا أو جمادا. والحيوانات المختلفة كانت تحظى بالإحترام لدى الأمم المختلفة، ونرى أحيانا صورها على أعلام الدول. «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، ص ٢١.

٢. الأنيمية Animism (عبادة الأرواح) وهي ديانة قديمة للعديد من الأمم. وبناء عليها، فان جميع مظاهر الطبيعة تملك روحا، ومن أجل استثمارها يجب عبادتها وتكريمها والثناء عليها. وكانت عبادة الأرض والسماء والأجرام السماوية والنار والرعد والبرق والسحاب و... سائدة بين الأمم القديمة. «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، صص ٢١-٢٢.

على شكل كائن حي، ولذلك فقد كانوا يجسدونها بجسم انسان ورأس حيوان، مثل هوروس، الذي كان برأس باشق وازيريس برأس بقرة.[١]

إن عبادة الشمس لها ماض عريق في مختلف مناطق العالم، وقد أشار القرآن الكريم في «سورة النمل، الآية ٢٤» إلى حالات منها.

وبين جميع الآلهة التي كانت تعبد بجانب الخالق، لم يكن لأي منها البركات الوافرة للشمس. ففي مصر القديمة، كان هناك أرباب في الساعات المختلفة من اليوم، يمثل كل منها الشمس، مثلا إله الصباح خبرع وإله منتصف الظهيرة رع وإله المساء اتوم. كما كان «سوكي» ممثل الشمس على الأرض. وكان المصريون القدامى يقدسون تلك الحشرة كثيرا وكانوا يرسمون صورتها على الطلاسم وعلى صدور وجبهات تماثيل الملوك، وكانوا يرجون منها البركة والسعادة.[٢]

أسطورة الآلهة الثلاثة أزيريس وايزيس وهوروس

وكان المصريون القدامى يقولون أن **أزيريس** (إله الزراعة) تزوج بأخته **ايزيس** (الإلهة الأم) وولد منهما ابن سمي **هوروس** (إله الشمس). وقتل ازيريس على يد أخيه باسم **سِت** (إله الجفاف). وقد حصلت ايزيس على جسد زوجها المقتول ازيريس بصعوبة كبيرة وأعادته إلى مصر وأخفته. وعندما عرف ست بهذه المسالة، عثر على الجسد ومزقه إلى أربع قطع وكل قطعة دفنها في مكان ما في مصر. وهذه الأماكن خصبت وعمرت ونمت ببركة ذلك الجسد. وهوروس الذي كبر الان، خاض حربا مع عمه ثأرا لدم أبيه، وبرغم أنه فقد أحد عينيه، لكنه انتصر على عمه وأسره وجاء به عند أمه ايزيس. وقد صفحت ايزيس عن شقيق زوجها. وحينها قام هوروس بوصل قطع جسد أبيه ببعضها البعض وأحياه بمدد إله الحكمة. ولم يبق ازيريس في العالم مذاك وسلم هذا العالم لابنه هوروس ورحل إلى عالم ما تحت

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، صص ٤٢-٤٣.
٢. «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، ص ٢٥.

الأرض وأصبح حاكما للموتى.[١]

وقد بيّن **البر ماله** هذه الرواية الأسطورية بادبيات اخرى، إذ قال:

لقد كان أهالى مصر يظنون بان الإلهة يشبهون البشر، فهم يتزوجون ويلدون. لذلك كانوا يصنعون لهم قصصا تشبه مصائر الانسان عرفت بالاَساطير، ومن أشهرها قصة أزيريس.

وكما كانوا يروون، فقد حكم **ازيريس** في بادئ الامر في وادي «النيل». وبما أنه أرسى اساس هذه الدولة بقوانين رفيعة، فكان بصدد ان يقوم بسياحة في العالم ويعلّم الانسان فنون الصلح والسلام، لكن عدوه طيفون، أو **ست** قضى عليه ومزق جسده إربا إربا ونثره في الوادي. وقامت **إيزيس** زوجة **أزيريس** وهي تبكي بالبحث عن زوجها، وجمعت أعضائه وجوارحه بمساعدة **توت** رب نوع الطيور و**ايبيس** و**انوبيس** رب نوع ابن آوى، وحنطته. فهاجم **هوروس** إبن ازيريس، ست وقبض عليه وقيده برقبته وأحضره امام ايزيس. فصفحت عنه ايزيس واضطر هوروس بأن يستأنف الحرب مع العدو. وأصبح ازيريس مذاك سلطان الموتى. ويمكن تبرير هذه الأسطورة هكذا بان الشمس (ازيريس) بدت في السماء وكذلك تمضي اليوم في طيه وسلوكه. وعندما ينتهى مسارها، كان جيش الظلام يشن هجوما ويدحر جيش الشمس بداية، ومن ثم يبيده ويستولي على الأرض. وفي هذا الخضم، يظهر كوكب اخر (قمر ايزيس)، وينثر ضوءه على رؤوس الناس، لكن يبدو أنه تائه في محيط الليل إلى أن تبزع الشمس (هوروس) وتدحر الظلام، لكن الحرب التي تدور رحاها بين النهارو الليل لن تنقطع أبدا.[٢]

وكان المصريون يعبدون ايزيس بمحبة واخلاص وصنعوا لها تماثيل من المجوهرات الثمينة، لانهم كانوا يعتبرونها أم الإله. وكان الكهنة محلقو الرؤوس يتلون لها الأناشيد ليل نهار وكانوا يسبحون لها... وكانوا في المعابد يظهرون

١. «التعرف على الديانات الكبرى»، المصدر السابق، ص ٢٥.
٢. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، صص ٤٣-٤٤.

ابنها المقدس **هوروس** (إله الشمس) وايزيس على هيئة أم مقدسة موجودة في اسطبل وهي ترضع رضيع في حضنها حصلت عليه عن طريق المعجزة. إن هذه الأساطير الشاعرية والفلسفية كان لها أثرا مذهلا على الطقوس المسيحية. لدرجة أن المسيحيين الأوائل، كانوا يركعون أحيانا أمام تمثال ايزيس وهي ترضع طفلها هوروس ويتلون الصلوات والأدعية ويعتبرونها وجها اخر للأسطورة القديمة والكريمة للمرأة (أي العنصر النسوي) الخالقة لكل شئ وتتحول في النهاية إلى أم للرب.

إن هؤلاء الآلهة أي **رع** (أو **امون** حسب تسمية أهالي الجنوب) و**ازيريس** و**ايزيس** و**هوروس** كانوا أكبر آلهة مصر. ومع مرور الزمن، امتزج رع وامون وإله اخر يدعى بتاح معا وتحولوا إلى ثلاثة مظاهر أو تجسيد للإله الواحد الذي شمل الثلاثة كلهم. وفضلا عن ذلك، فان المصريين كان لهم عدد كبير من الآلهة الصغيرة. مثل **انوبيس** و**شو** و**تفنوت** و**نفتيس** و**كت** و**نوت**. و**فرعون** نفسه في «مصر» كان يعتبر إلها وكان يحمل دائما لقب ابن امون رع، وليس كان يحكم عن طريق الحق السماوي فحسب بل ان حكمه هذا، كان مستندا إلى أنه وليد الآلهة، وكانوا يتصورون كل فرعون على أنه إله استقر في الأرض لفترة من الزمن. وعلى رأسه، كانت صورة النسر وهي علامة هوروس، توتم القبيلة، وعلى ناصيته، صورة أفعى، رمز الحكمة والحياة وواهب القوة السحرية لبتاح. وكان الملك يحمل عنوان أكبر رئيس ديني، وكان يتصدر المشهد في الأعياد والمراسم الحافلة التي كانت تقام لتعظيم وتكريم الآلهة. ونتيجة هذين الإدعائين، أي كون السلطنة إلهية وميلاد الملك إلهيا، استطاع فراعنة مصر فرض سلطتهم وهيمنتهم لفترة طويلة من دون الحاجة إلى الإستعانة بالقوات العسكرية الهائلة.

ولهذا السبب، يجب القول بان الكهنة في مصر شكلوا الدعائم اللازمة للعرش والحراس السريين للمؤسسة الاجتماعية. إن الإيمان بهكذا دين معقد يتطلب أن تكتسب شريحة خاصة مهارة تامة في فنون السحر والطقوس الدينية، بحيث لا يمكن لاي أحد أن يكون في غنى عنهم للتوسل إلى قدرتهم ومهاراتهم. وبالرغم

من عدم جود قانون انتقال منصب الكاهن من الأب إلى الإبن. لكن هذا المنصب كان ينتقل عمليا بالوراثة، بمعنى أنه مع الوقت ونتيجة إمتناع الناس والسخاء السياسي للفراعنة، وجدت طبقة خاصة من الكهنة، زادت ثروتها ونفوذها عن كبار ملاك الأراضي وحتى الأسر الملكية نفسها. وكان الكهنة يأكلون ويشربون مما كان يقدم كنذور وقربان للآلهة وكان يجنون عوائد جمة من الأراضي المتعلقة بمعابدهم وخدماتهم الدينية. لانهم كانوا معفيين من دفع الضرائب والخدمة في الجيش، فكان باقي الناس يحسدونهم من حيث المرتبة والمنصب والجاه والنفوذ.

وحقا فان الكهنة كانوا يستحقون هذا القدر الكبير من السلطة والجاه والمقام، لانهم جمعوا العلوم المصرية واحتفظوا بها، وعلموا الشبان عليها ووضعوا لانفسهم انضباطا شاقا وتقاليد خاصة وامتثلوا لها. وقد وصفهم **هيرودوت** باحترام خاص هكذا:

لقد كان هؤلاء يهتمون أكثر من باقي الناس بالآلهة ولم يمتنعوا أبدا عن تأدية التقاليد والمراسيم... وكانوا يرتدون دائما ملابس نظيفة وجديدة مصنوعة من الكتاب... وكانوا يقيمون مراسم الختام لانهم كانوا يحبون النظافة والطهارة ويفضلونها على الجمال. وكانوا يزيلون شعر مجمل جسدهم كل ثلاثة ايام مرة لكي لا ينمو فيه القمل وسائر الأمراض... وكانوا يغتسلون بالماء البارد كل نهار مرتين وكل ليلة مرتين اخرى.[١]

كهنة السحر والمحافل السرية

ومن بين آلهة مصر، فان ما تفوق على الجميع في خاتمة المطاف، هو **آمون**، رب مدينة تب. وقد وحد الكهنة آمون مع رع رب نوع الشمس وقالوا أن آمون رع هو الرب الأعلى، وانه خالق أرباب الأنواع وبني نوع الانسان والكائنات. وتكريما لآمون رع، كانوا ينشدون أناشيد طنانة بما فيها هذا النشيد:

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٢٣٩-٢٤١.

يا وجود الخير والسطوة ويا من يسطع نور من جمالك،
وبما أنك تشـــهر الســـيف وتهرع إلى وســـط الســـماء، فان أعدائك يضمحلون... .[١]

وكان نظام الكهنة في «مصر» سريا وخفيا، وكان السحر يشكل أساسه. وكان للكهنة وحدهم الحق في أن يدخلوا جهاز الآلهة. وكانوا يعطون الآلهة الطعام ويضيئون مشاعل المعابد ويبلغون الناس أوامر الآلهة بوصفهم الوسطاء بين الآلهة والناس. وكانت نذور وقرابين الناس من حصة الكهنة وكان الفراعنة يهبون لهم جزء من غنائم الحرب. لذلك، كان الكهنة دعائم وأساس سلطة الفراعنة، لانهم كانوا باسم الآلهة يجعلون الناس يكنون الطاعة للفراعنة.

وكان كهنة مصر القديمة، يمثلون طبقة ذكرهم القرآن باسم السحرة. وهذا الإعتقاد سائد بأنهم كانوا أصحاب السلطة الخاصة والمعرفة السرية. وكانوا يتوغلون بهذه السلطة بين أهالي مصر ويعززون موقعهم في حكومة الفراعنة. وهذه المجموعة التي كانت تعرف وفقا لوثائق مصر بكهنة آمون، كانوا يمارسون السحر وادارة فرقتهم في عبادة الأوثان، وكان لهم ضلع في العلوم المختلفة بما فيها علم الفلك والرياضيات والهندسة.

وكانت مجموعة الكهنة لها نظامها المغلق وصاحبة علم خاص. وهكذا أنظمة تسمى المحافل السرية.

وسلطت مجلة بعنوان «ماسون درغيسي» وهي مجلة ماسونية تركية، الضوء على الماسونية واعتبرتها متعلقة بهكذا منظومة سرية وتشير بشكل خاص إلى كهنة «مصر» القديمة:

مع تطور فكر الانســـان، يتطور العلم، ومع تطور العلم تزداد الاســـرار الكامنة فى علم تنظيم ســـرى. وهذه التنظيمات السرية التى بدأت للمرة الاولى فى الشـــرق، فى «الصين» و«تبت»، ومن ثم امتدت إلى «الهند»

١. «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، المصدر السابق، ص ٤٤.

و«بيـــن النهرين» و«مصر»، كانت تشـــكل دعائـــم وركائز علم الكهنة والذى كان يتم التطرق اليه لالوف السنين وكان عامل قوتهم وسلطتهم.[١]

وبلا شك، فانه بين كهنة المعبد الذين سعوا دائما للحفاظ على سلطة الفراعنة وتثبيت نفوذهم وسطوتهم عليهم، عن طرق العلوم الغريبة والشياطين، لا يمكن العثور على النسبة والقرابة والتواصل مع الأخلاق وسلامة الروح، وحسبما يقول ويل ديورانت:

يجب معرفة أن الديانة المصرية كانت تبدي أدنى إهتمام بالكهنة الذين كانوا يمضون جل وقتهم في بيع السحر وتلاوة العزائم وممارسة تقاليد السحر والشعوذة، ولم يبق لهم متسع من الوقت لتعليم الناس بالمبادئ الاخلاقية. وحتى كتاب «علم الموتى» يعلم المؤمنين بان الطلاسم التي تبركت على أيدي الكهنة، ستتغلب على جميع الصعوبات التي تقف حجر عثرة أمام الموتى للوصول إلى «دار السلام» وهؤلاء وقبل أن يهتموا بالعمل الصالح، كانوا يولون أهمية بتلاوة التعاويذ والتمائم ... وكانوا يصنعون التمائم والعزائم والطلاسم بأشكال مختلفة ويبيعونها للناس لكي تكون سببا في الصفح عن أنواع الذنوب. وحتى مثل هكذا طلاسم، كان بوسع الشيطان أن يدخل بواسطتها إلى جنة النعيم. وكان أحد واجبات الانسان المصري الورع هو أن يتلو في كل لحظة تمائم وتعاويذ وأذكار خاصة ليكون بمأمن عن الشرور ويستجلب مختلف الخيرات.[٢]

إن سير وسلوك وعمل الكهنة ونشأة السحرة، تميط اللثام عن طبيعتهم غير الإلهية والشيطانية، بحيث ان الطبقات المختلفة من الحقد والضغينة والإيذاء والنزعة السلطوية، تشير إلى ماهية هذه التعاليم الماورائية، لكن الشيطانية. إن كثرة الآلهة وتعدد السحرة في مصر القديمة، يظهر كيف أن **ابليس** وجنوده، بسطوا

---

١. «من فرسان المعبد إلى مصر القديمة»، هارون يحيى، ترجمة فاطمة شفيعي سروستاني، مجلة موعود، العدد ٦١، نقلا عن:
Mason Dergisi (the journal of freemasonery). No 48-49, P.67

٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، صص ٢٤٣-٢٤٤.

سلطتهم على هذه المساحة الهائلة من الحضارة.

وكان الآلهة يلجأون أنفسهم إلى السحر والطلاسم لإيذاء أحدهم الاخر. إن أدبيات مصر القديمة مليئة بأسماء السحرة الذين كانوا يجففون بحيرة من خلال قول كلمة واحدة، ويلصقون يد وساق مبتورة بالجسم أو أن يعيدوا الموتى مرى أخرى إلى الحياة. وكل ملك كان له سحرته الخاصين به، ممن كانوا يساعدونه ويرشدونه. وكان الناس يؤمنون بان فرعون هو قوة سحرية يمكن من خلالها إنزال المطر من السماء أو أن تسبب فيضان نهر «النيل». وكانت حياة المصريين القدامى زاخرة بالطلاسم والعزائم والتفؤل والرجم بالغيب، وكل بيت كان لابد له أن يكون له إله مدلل ليبعد الأرواح الشريرة والتعاسة عنه. ومع الوقت نسى الناس الترابط بين الدين والأخلاق ومن اجل الوصول إلى السعادة الأبدية لم تكن هناك أي حاجة لبناء الحياة على اساس التقوى والفضيلة، بل أن ذلك كان يتحقق بسهولة عن طرق اللجوء إلى السحر والطقوس الدينية الظاهرية وإعطاء المزيد للكهنة. ويقول متخصص بالدراسات المصرية في هذا الخصوص:

إن أخطار وصعوبات العالم كانت تزداد رويدا رويدا، وكان بوسع كاهن إعداد وتحضير طلسم خاص لكل خطر وصعوبة، كان يحفظ صاحبه من ذلك الخطر. وعلاوة على الطلاسم والتعاويذ التى كانت تؤدى إلى أن يصل الموتى إلى العالم الاخر، كانت ثمة تعاويذ وطلاسم أخرى تحول دون زوال الفم أو الرأس أو القلب أو أن كانت تسبب ألا ينسى المرء اسمه أو أن يأكل ويشرب وأن يبقى بمأمن عن أكل نجاساته ودناءاته، والا يتحول الماء الذى يشربه إلى نار حارقة بباطنه أو أن يبدل الظلام إلى نور أو أن يبعد المطر أو الاشياء المؤذية والمزعجة والمخيفة عنه وما شابه ذلك ... وبذلك، فان الرقى والتقدم التدريجى للمبادئ الاخلاقية التى رأيناها وشاهدناها فى الشرق القديم، توقفت نهائيا بصورة مفاجئة، على إثر الممارسات المقيتة لمجموعة من الكهنة الفاسدين والربحيين،

أو أن حصل ذلك لفترة من الزمن على أقل تقدير»[١]

وفي عامة الحضارات القديمة بما فيها الحضارة المصرية، فان الكهنة كانوا يمثلون همزة الوصل بين الكائنات الماورائية [الآلهة في الظاهر والشياطين في الباطن]، لان التواصل مع هذه الكائنات الماورائية كان بحاجة إلى علم وقوة خاصة كان الكهنة قد توصلوا إليها بعد سنوات من ترويض النفس.

وجاء في قاموس «دهخدا» [وهو أحد قواميس اللغة الفارسية] في توضيح مادة الكاهن:

لقد كان الكاهن عنوان لرجال الدين فى مصر القديمة والبابليين. وهذه المكانة كانت تستخرج من باطن السحر، أى أن السحرة ومن أجل الحصول على اعتبار ومنزلة دائمة ومقدسة، صنعوا بين الناس تدريجيا كائنات وهمية غيبية كانوا يشاهدونها هم وحدهم على وجعلونها على شكل تماثيل لكى يشاهدها الناس أيضا ويكنون لها الإحترام. ومن أجل الاحترام، وضعوا قوانين وخططوا بشكل أفهموا فيها الناس بان التواصل مع هذه الاوثان، هو من إختصاص الكهنة فحسب لا الاخرين، وهم الذين يفهمون وحدهم القوانين الدينية وعلى الناس أن يعبدوا الاصنام كما يشاء الكهنة وإلا سيطالهم عذاب الآلهة.

جدير ذكره أن مجموعة الأساطير وكل ما كان الكهنة يقدمونه للناس كآلهة في قالب الأوثان والأصنام، ويطلبون منهم عبادتهم، كانت كائنات شيطانية تظهر للكهنة عن طريق السحر وتصبح في خدمتهم.

وكان الكهنة وعن طريق الطقوس السحرية التي كانت تنتقل أسرارها من جيل إلى جيل، يزينون للناس مظاهر من القوى ماوراء الطبيعة، وينسبون أنفسهم إلى الآلهة ويفرضون سطوتهم على الملوك والرعايا المساكين.

إن الكهنة كانوا ينغمسون في الفسق والفجور والمجون من خلال نبذ التقوى.

---

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

وكانوا يتبعون الطقوس السحرية واقامة مراسم خاصة للتواصل مع الشياطين، وتسخير بعض الجن الكفرة، وجعلهم يكونون في خدمة رغباتهم وميولهم. واليوم وبعد الوف السنين، يتصرف السحرة والكهنة بنفس الطريقة السابقة.

لقد كان معظم العلماء المصريين من الكهنة، لانهم كانوا يعيشون بمنأى عن الهموم والهواجس والقلق، وكانوا يتمتعون بالراحة والإستقرار النفسي في المعابد. ولهذا السبب، وبالرغم من تمسكهم بالخرافات، فان هؤلاء الكهنة هم الذين أسسوا للعلوم المصرية.[١]

إن «الأهرام الثلاثة» والمعابد الحجرية الشاهقة، التي تعد اليوم جزء من عجائب الدنيا، ودفعت الجميع الى الإندهاش والإنبهار كيف أنها بنيت وشيدت بالامكانات والوسائل التي كانت موجودة في تلك الحقبة قبل الاف السنين، تعد جزء فحسب من نتائج تواصل الكائنات الماورائية الشيطانية مع الإنسان (الكهنة). وينسب الكثير من الباحثين في الغرب، تشييد هذه المباني والصروح إلى سكان سائر المجرات والكواكب والكائنات فوق الأرضية، في حين أنه بالقرب منا وبجانب الفرعونيين، كان رجال، يقدرون على القيام بأعمال خارقة وحتى أنهم كانوا يملكون خبرة ومعرفة تفوق تصور البشر وذلك عن طريق العلوم الغريبة والتواصل مع الكائنات غير المرئية مثل الجن وحتى تسخيرهم. لكن من بين كل هذه، فان البعد غير الرحماني لهذه العلوم والممارسات السحرية التي حصلت عن طريق السحر والعلوم الغريبة، بارز للعيان.

وفي صحراء مموجة، وبالقرب من «الجيزة» هناك ثلاثة أهرام ضخمة، مقبرة ثلاثة ملوك هم خوخو وخفرع ومنكورة. وعند هذه الاهرام، يجلس «ابوالهول» على ركبتيه وينشر قبضته فوق «مدينة الموتى» ليحرس أسرارها السحرية. ويقول بليني:

يجثم أبوالهول هذه الظاهرة الفنية المثيرة للإعجاب، قبالة الأهرام، رب النوع

١. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ص ٢١٤.

الذين ينتشر فوقه طلسم الصمت. «ابوالهول» يفرض الصمت على الصحراء.

ويقول **عبد اللطيف** الكاتب العربي في القرن الثالث عشر:

إن الرعب الذى يسـطع من هذا التمثال، يعد برهانا حقيقيا على الكره من الإتيان على اسمه.

وفي تلك الفترة، كان رأس وجسم ابوالهول مايزالان جميلين، وثمة وقار وجمال في فمه وكأن إبتسامة ترتسم على شفتيه، وكان رأسه الضخم يلمع في ظل الصبغ الأحمر. وأطلق العرب عليه إسم «ابو الهول» وحسب الحجر المنقوش على صدر التمثال، كان ابوالهول مدفونا بين الرمال المتحركة بالف واربعمائة عام قبل الميلاد. وفي تلك الحقبة، كانت قدرته ونشأته يكتنفهما الغموض والاسطورة. الف وأربعمائة عام قبل ميلاد **المسيح**، غط ذات يوم أمير (وصل فيما بعد باسم توتمس الرابع الى السلطة) في قيلولة في ظلال ابوالهول، وأصبح نصف مدفون. وكان الأمير قد مارس الصيد طوال النهار في تلك المنطقة ورمى بالنبال والسهام وسمح لمرافقيه عند الظهر بالراحة، وقدم هو في منتصف النهار، بذر وردة الحور (Horus)، لانه كان يحكم هذا المكان منذ بدء زمن السحر العظيم. وبعد هذه الهدية، ظهر إله الشمس (وكان يعتقد على انه على هيئة ابوالهول) في حلمه وتحدث ايه كاب. ووعد الإله الشمس، هذا الأمير بان يعتلي العرش الزاخر بالسعادة، وطلب منه أن يخرج ابوالهول من تحت الرمال: عدني أن تلبي أمنيتي القلبية، وعندها سيثبت لي بانك إبني ورفيقي.

ولاحقا، عندما اعتلى الامير العرش من دون أن يتوقع ذلك، تذكر حلمه الذي رآه في المنام وأطاع أمر الشمس الإله، وأمر بإخراج ابوالهول من تحت الرمال، لكن رمال الصحراء لم تتوقف عن الحركة وبعد سنوات وعندما كان الانسان والصحراء في صراع للاستيلاء على هذه الصخرة المنحوتة، دفن العملاق مرة أخرى في الرمال. ويقول **بلوتارك** في كتاب «ايزيس وازيريس» (٤٥-١٢٦م) بان ابوالهول هو رمز لاسرار العلم الخفي، ويذكره في موقع اخر بانه مخلوق ذو

جلال وجبروت يملك أجنحة بالوان متغيرة ومختلفة. فان كانت أجنحته مقابل الشمس، فانها تلمع كالذهب، وعندما كانت مقابل السحاب، فانها تعكس ألوان الطيف وقوس قزح، لكن بلوتارك هذا المؤرخ والباحث المجد، لم يستطع الوصول الى رمز وسر ابوالهول وبقي ابوالهول لقرون متمادية حارس السحر المصري. ويضيف بلوتارك: إن العديد من المفكرين اليونانيين بمن فيهم **سولون**[١] و**طالس**[٢] و**فيثاغورث**[٣] و**اودوكسوس**[٤] و**ليكورغوس**،[٥] تحملوا عناء السفر الى «مصر» من أجل اللقاء والتحدث الى الكهنة المصريين.

وكل كلام أو حركة وإشارة من الكهنة، كان لها أثر مذهل، وتبقى قوتها السحرية لدى الأشخاص، وكلما كانت قوة البقاء والجاذبية للسحر أكثر، كلما كانت تظهر عجائب أكثر انبهارا. كان فرعون قد تشبع وتشرب بهذه القوة لدرجة أنه كان يستطيع أن يحرك الأرض بحركة يد. وربما لهذا السبب، نشاهد في الرسوم والنقوش المتبقية، أينما كان الملك، لا يقوم بعمل محدد، كان يتم تجسيد صورته بصورة ساكنة ومن دون حركة، لكي لا يؤدي بسبب حركة غير مطلوبة إلى حدوث أخطار، لان «قوة البقاء» كانت تخلد ليس لدى الأشخاص فحسب بل في الصور والنقوش أيضا. وفي بلاد النيل، ومنذ العصور السالفة، كان يتم التعامل مع الصور بطريقة وكأنها كائنات حية وفاعلة، وكانت مصر منذ البداية بلد التماثيل السحرية، بحيث كان لقوتها الخفية التأثير على العالم الفيزيقي. لذلك فان دور تماثيل ابوالهول أمام المعابد لم يقتصر على إخافة وإرعاب الكفار، بل كان بوسعها أن تقوم مثل الملوك والتي كانت تجسدهم في الحقيقة، بمنح المكافآت ومعاقبة الاخرين. وكانت تماثيل «ابوالهول» تفتح فمها الحجري وتعلن

١. مشرع وشاعر غزلي من أثينا.
٢. فيلسوف.
٣. فيلسوف وعالم رياضيات.
٤. عالم فلك وعالم رياضيات.
٥. مشرع.

إرادة الآلهة. وكان القساوسة المسيحيون، يؤيدون الظاهرة المذهلة لتكلم التماثيل. وكان الملك وحشد من الناس يحضرون مراسم المكاشفة الملهمة ونداء الهاتف، بينما كان الكتبة، يدونون المفردات على ورق البردي. وفي «واحة سيوا»، كان تمثال آمون قائما، ذلك التمثال الذي زاره **الاسكندر المقدوني** ومنحه **آمون** بشرى سارة، بشرى حكم العالم. وكانت التماثيل تخلق عجائب وغرائب اكبر. وكانت تنزل من قوائمها غالبا وتتمشى بين الناس، وهكذا فانه في عهد سلطنة الملكة هات شب سوت[1] مشى الإله آمون بين صالات معابد «كراناك» ووقف لاحقا أمام شاب (عرف فيما بعد باسم تحوتمس الثالث وحكم من ١٥٠١ إلى ١٤٧٧ قبل الميلاد). وقد ركع الرجل الشاب أمام الرب، لكن آمون جعله ينهض وأمر أن يعتلي عرش الملك، وبهذا الإنقلاب السماوي، تولى تحوتمس السلطنة. وبقي منطق الانسان قبال تدخل آمون في شؤون سلالات الملوك، خامدا. وعندما يقوم قلم ومطرقة نحات، بنحت كتلة عديمة الشكل وتحويلها إلى تمثال وكائن، تسري قوة سحرية في التمثال، وتحبس بداخل التمثال بواسطة التمائم والرقي والتعاويذ والحركات والإشارات السحرية، وطالما كان التمثال سليما وكاملا، يمنح روحا، لكن ومع تحطم التمثال، فان روحه تهرب أيضا. ولهذا السبب، يتم تصوير وعرض الشياطين والارواح الخبيثة التي هي عدوة الناس بنقوش **هيروغليف** البارزة، لكي لا يكون لديها نفوذ شرير، لكن أي قوة قادرة على الإخلال بالخاصية السحرية لابي الهول أو أن تطرد الروح الكامنة بباطنه.

إن هذا الجسد الهائل نصف المنحوت ونصف البارز، دخل في مواجهة مع الألفيات، وأي تمثال في تاريخ البشرية لم يستطع لهذا الحد إثارة خيال الناس. وفيه أفكار الأجيال العديدة كما أن السحر والطلاسم والطقوس الروحية العديدة، اقامت فيه، الروح التي ماتزال سارية في هذا الغول على مر الزمان.[2]

---

١. Hat shep sut: بمعنى المتفوقة على النساء الأحرار، وخامس فرعون من السلالة الملكية الثامنة عشرة لمصر القديمة.

٢. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، صص ٧٦-٧٩.

إن سلالة الفراعنة وكهنة معبد السحر، ألقوا بظلالهم لقرون على حضارة مصر القديمة. وسائر الحضارات الموازية في بين النهرين والهند والصين، واصلت بهذا التوجه الخاص وغير الرحماني تجاه العالم والانسان، رحلتها عبر التاريخ.

وفي منعطف خاص، جربت مصر في عصر الملكية الفريد، التوحيد.

وفي عام ١٣٨٠ قبل الميلاد، توفى آمون حوتب الثالث، بعد حياة زاخرة بالجلال والبهجة، وحل محله على العرش إبنه آمون حوتب الرابع. وكان مصيره، أن سمي لاحقا[1] **آخناتون**.[2]

وبمجرد إعتلائه العرش، أبدى معارضته الشديدة لدين آمون والكهنة الذين كانوا يسيرون على خطاه، ويقيمون تقاليده وطقوسه. وفي تلك الحقبة، كانت مجموعة من النساء يقمن في معبد «كرنك»، كن في الظاهر جاريات وعشيقات لآمون، وفي الحقيقة، كن وسيلة لمجون وترف وفجور الكهنة. وهذا الفجور والمجون الذي كان مغلفا في غلاف من القدسية والتدين، أثار استياء وحفيظة ذلك الملك الشاب الذي كان في حياته رمزا للطهر والأمانة، ولم يستسغ رائحة دماء الخرفان التي كانت تقدم كقرابين لآمون، كما أبدى إمتعاضه من الطلاسم والتعاويذ والعزائم التي كان يبيعها الكهنة واستخدامهم لتنبؤات آمون للإبقاء على جهل الناس وممارسة الضغط باسمه على الناس وما كان يسفر عن دمار وهلاك للناس. ولهذا السبب، غضب كثيرا وقال في وقت ما: **إن ما سمعته عن الكهنة كان أكثر دنسا ومعصية من كل ما سمعته عن السنة الرابعة للسلطنة، وكل ما سمعته عن الملك آمون حوتب الثالث**. وبذلك ثارت وتمردت روحه الشابة بسبب الفساد الذي كان قد اخترق ديانة شعبه. وكان يكره سلطة الكهنة عبدة المال على حياة عامة الناس، وانتفض ضدهم بقوة. ولم يقبل بجرأة وتهور الشعراء، أي حل للمصالحة مع ذلك الجهاز الفاسد وأعلن بكل شجاعة، بان

١. إبن آمون حوتب الثالث، الفرعون المتمرد.

٢. «قصة الحضارة»، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٥.

جميع الآلهة والتقاليد والطقوس التي تمارس في هذا الدين، دنيئة وتتصف بعبادة الأوثان.[١]

وعندما جعل **آخناتون**، ديانة وحدانية الرب **آتون**،[٢] ديانة رسمية لـ«مصر»، ألغى طقوس الآلهة والشياطين المصريين. كما تم نسخ سحر الموتى. وهذا الملك الإصلاحي، لم يكن يؤمن بالحياة [في القالب الجسدي والمتعلق بهذه الحياة] في القبور، في حين أن النواة الرئيسية للسحر في مصر كانت متمثلة بالحياة ما بعد الموت. وتحول هذا السحر على مدى قرون متمادية إلى معرفة ماهرة كان هدفها توفير الحياة الرغيدة [وفقا لتعاليم كهنة السحر] وفي الاخرة للموتى... ومع النظر إلى هذه المباني، يمكن فهم كيف أن آخناتون وفي سبيل محو سحر الموتى من الديانة المصرية، أنجز أعمالا كانت مستحيلة حتى ذلك الحين.[٣]

إن واقعة التوحيد وإضفاء الرسمية على الديانة السماوية في مصر، معطوف على عصر نبوة النبي **يوسف**عليه السلام وحضور هذا النبي المكرم في بلاط **آمن حوتب الرابع**.

واعتنق فرعون التوحيد متأثرا بجاذبية النبي يوسفعليه السلام وتعاليمه، وغيّر اسمه من آمن حوتب أي ممتدح آمون إلى آخناتون أي ممتدح ومُبهج آتون (إله الشمس، الإله الذي كان يرى المصريون أنه معاد لآلهتهم الحاليين). وعلى العكس من الفراعنة السابقين، فان اخناتون لم يكن حريصا على مهاجمة البلدان الاخرى والإستيلاء عليها.

ومع انتقال بني إسرائيل إلى مصر، وبعد لقاء النبي يوسفعليه السلام لاخوته وأقربائه وتطوير دين التوحيد الإلهي، حدث منعطف في الحياة الثقافية والحضارية لمصر، لكن ومرة اخرى وبعد رحيل النبي يوسفعليه السلام، أتيح المجال للشيطان وجنوده ليدخلوا الساحة ويستغلوا غفلة وعدم تقوى بني اسرائيل وسكان «مصر»، لينفذوا

١. المصدر السابق.
٢. بمعنى قرص الشمس.
٣. «تاريخ السحر»، المصدر السابق، ص ٧٩.

في نفوسهم ويجرونهم إلى الفساد والتهلكة. وفي أعقاب ذلك، تم إحياء ثقافة الكهانة وسُنة الشرك القديمة، وانتشر السحر والطقوس الشيطانية بالإستناد إلى كل المواريث والتجارب السابقة.

وجلس فرعون وبعده فرعون اخر على كرسي السلطنة، إلى أن بعث الله، النبي **موسى**عليه السلام لإنقاذ بني اسرائيل.

الحصيلة

إن دراسة مصير وعاقبة عامة الحضارات والثقافات القديمة، تظهر أنه بعد تأسيس «قبيلة اللعنة» على يد **إبليس** ومع انتقال نهجه إلى **قابيل** و«بني قابيل»، واصلت هذه القبيلة حياتها في الهيئة الحضارية والثقافية في أقاصي العالم.

إن تلوث عامة الثقافات والحضارات القديمة بالتقاليد المشركة، والتواصل مع الكائنات الجنية والإبتلاء بالسحر والشعوذة، كان دليلا على أن الأمم المختلفة كانت تنتهج نوعا من الإنتقائية والإختلاط بين التعاليم الحقيقية والباطل وتسير في مدار الشرك وعبادة الآلهة والنِحَل غير الرحمانية بدلا من انتهاج التوحيد والحياة الطيبة.

إن من كان يستفيد في هذا الخضم، من أحوال وأوضاع الأمم وسكان الحضارات القديمة، هو ابليس وجنوده، الذين كانوا يصرون من خلال إخراج الناس عن الصراط المستقيم، على يمينهم الأولي[1] عند الإعلان للسجود لـ**آدم**عليه السلام، وكانوا يسخرون سخرية شيطانية من أحوال الناس.

إن إكتساب التقاليد المشركة، الطابع الرسمي عن طريق المعابد الرسمية ودعم وحماية السلاطين والملوك، لها، أدى لكي يحصل قادة قبيلة اللعنة على مجال وفرصة للسير في الزمان والمكان، لغرس سكين الموت، يوميا أكثر فاكثر في

---

١. وفي فجر الخلقة، وعندما طرد ولعن ابليس من قبل الله المتعال، أقسم وأعلن «**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**» (سورة ص، الآيتان ٨٢ و ٨٣).

جسم وروح المستضعفين من سكان الحضارات القديمة.

وبمحاذاة سير وسفر هذه «القبيلة السوداء»، فان سكان «قبيلة الرحمة» وجدوا طريقهم وسبيلهم في ظل توجيهات وتعاليم سلالة الأنبياء والأوصياء، ولم يتوانوا عن بذل الغالي والنفيس والمال والروح في سلوك طريق الحق.

وبعد هذا سنرى، كيف أن إرث قبيلة اللعنة والعلوم الغريبة والتواصل مع الجن الشيطانيين، عبروا مسار التاريخ من بين سلسلة الاحداث والوقائع، وسلكوا طريقهم لنيل مآربهم ومقاصدهم المشؤومة.

مقارنة الحوادث المهمة للشرق واليونان

الألفية قبل الميلاد	مصر	بين النهرين (كلدة وآشور)	الشام (اليهود وفينيقيا)	ايران (عيلام وماد وبارس)	اليونان (كريت وقوم هلن)
٣٤	منس سيطرت على مصر بحدود ٣٣٠٠	قسمت كلدة إلى ناحيتين هما «أكد» و«شومير»	---	أهالي عيلام كان لهم إمارة	---
٢٨	السلالة الرابعة لفراعنة مصر	سارغن ونارامسن امراء اغادة	----	أمراء شوش الحرب مع أهالي كلدة	---
٢٢	الدولة الوسطى	ملوك بابل (حمورابي)	شيوخ ابراهيم	---	بسط الحضارة في كريت
١٩ ٢٠	السلالة الثانية عشرة يابيرنت	هجوم قوم هيتيت وكاسيت	----	---	قصر كنس
١٨	هجوم قوم هيكسس	استقرار قوم كاسيت في بابل	استقرار اليهود في مصر	---	هجوم قوم اكيوس على اليونان
١٦	طرد قوم هيكسس	---	---	---	ملوك ميسن
١٥	فتوحات الفرعون توتمس الثالث	---	تطوير التجارة فينيقية	---	دمار كنس
١٣	روعة البناء، تب، رامسيس الثاني	الاستيلاء على بابل على يد ملك اشور	دورة صيدا	---	---

الألفية قبل الميلاد	مصر	بين النهرين (كلدة وآشور)	الشام (اليهود وفينيقيا)	ايران (عيلام وماد وبارس)	اليونان (كريت وقوم هلن)
١٢	هجوم قوم البحري	تغلات فالازار	النزاع بين الفلسطينيين وبني اسرائيل في فلسطين	زينة شوش، غاية روعة فن عيلام	هجوم قوم دروس، وهجرة قوم اكيوس الى اسيا الوسطى
١٠	تمزيق مصر الى مناطق مختلفة	---	دولة اليهود، داود وسليمان، دولة صور، حيرام	---	بسط الحضارة اليونانية في اسيا الوسطى
٩		اسور نازيربال	بناء قرطاج على يد أهالي صور (٨١٤)		قوانين ليكورغ في اسبارت
٨	سلاطين إثيوبيا ساباكن	دولة ستانان الكبيرة اشور سارغن الاول	الاستيلاء على شومرون على يد جيش اشور		حروب مسني
	جيش اشور في منفيس وتب سناخريب واسورباني بال	---	الاستيلاء على شوش على يد جيش اشور ونهاية دولة عيلام	---	
٧	جيش اشور في منفيس وتب سناخريب واسورباني بال	---	الاستيلاء على شوش على يد جيش اشور ونهاية دولة عيلام	---	
	بسامتيك الاول، إعادة اقتدار مصر في عهد فراعنة سائيس	هجوم قوم سيت، تمرد بابل والاستيلاء على نينوى	دولة اليهود وكيلة وكيلة اتاوات اشور	بسط دولة ماد، سبا	ضم اسبارت مسني، ببلاده

الالفية قبل الميلاد	مصر	بين النهرين (كلدة وآشور)	الشام (اليهود وفينيقيا)	ايران (عيلام وماد وبارس)	اليونان (كريت وقوم هلن)
٦	نخائو، امازيس	نبوخذنصر	الاستيلاء على اورشليم وصور على يد نبوخذنصر	---	---
	انتصار الايرانيين	انتصار الايرانيين	انتصار الايرانيين	كوروش ملك ماد وبارس	سولون وبيزيستارات في اثينا، انتصار الايرانيين على القسم اليوناني لاسيا
٥	---	---	---	داريوش وخشايارشاه [حروب مديك] مارتن، سالامين	
	---	---	---	خشايارشاه الثالث، عودة الجيش المؤلف من عشرة الاف شخص	---
٤	---	---	---	---	سلام انتناليسيداس، فيليب مقدونية
	انتصار الاسكندر، بناء الاسكندرية	انتصار الاسكندر	انتصار الاسكندر	داريوش الثالث، انتصار الاسكندر	الاسكندر المقدوني
	بطلميوس الاول، ملك مصر (٣٠٥-٢٨٣)	سلوكوس الاول ملك الشام (٣٠٦-٢٨٠)			---

ثبت المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* إبن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله، «شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد»، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، الطبعة الاولى، قم، ١٤٠٤، ج ١٣.

* إبن بابويه، محمد بن علي، «ترجمة عيون أخبار الرضا»، الصدوق، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٧٢، ج ٢.

* إبن بابويه، محمد بن علي، «كلجين الصدوق»، (مختارات من لا يحضره الفقيه)، فيض كاشاني، الطبعة الأولى، طهران، ١٣٧٦، ج ١.

* إبن بابويه، علي بن محمد، «علل الشرائع»، ترجمة ذهني تهراني، مؤمنين للنشر، الطبعة الاولى، قم، ١٣٨٠، ج ٢.

* إبن بابويه، علي بن محمد، «علل الشرائع»، قم، مكتبة داوري، الطبعة الاولى، ١٣٨٥، ج ٢.

* إبن بابويه، محمد بن علي، «الأمالي»، كتابجي، الطبعة السادسة، طهران، ١٣٧٦.

* إبن بابويه، محمد بن علي، «كمال الدين وتمام النعمة»، علمية اسلامية للنشر، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٧٧، ج ١.

* إبن بابويه، محمد بن علي، «كمال الدين وتمام النعمة»، ترجمة بهلوان،

دار الحديث، الطبعة الاولى، قم، ١٣٨٠، ج ١.

❋ إبن سعد، «الطبقات الكبرى»، ترجمة محمود مهدوي دامغاني، فرهنك واندیشة، طهران، ١٣٧٤، ج ١.

❋ إبن سعد، محمد بن سعد، «طبقات ابن سعد»، ج ١.

الرضي، محمد بن حسين، «نهج البلاغة»، ترجمة دشتي، مشهور، الطبعة الاولى، قم، ١٣٧٩.

❋ إمام، سيد جلال، «موسوعة القرآن الموضوعية: الكعبة ودراسة تاريخ بنائها في القرآن»، www.maarefquran.org

❋ أوشيدري، جهانغير، «موسوعة مديسنا»، المركز للنشر، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٧١.

❋ باغبان، شكوفة، «السحر في الشاهنامة للفردوسي»، مجلة رشد اللغة والادب الفارسي.

❋ بحراني، هاشم بن سليمان، «البرهان في تفسير القرآن»، الطبعة الفارسية، ج ٢.

❋ بحراني، سيد هاشم بن سليمان، «البرهان في تفسير القرآن»، مؤسسة البعثة، الطبعة الاولى، قم، ١٣٧٤، ج ١.

❋ بروجردي، اقا حسين، «جامع أحاديث الشيعة»، كتاب الحج، فرهنك سبز للنشر، طهران، ١٣٨٦، ج ١٠.

❋ بهار، مهرداد، «بحوث في الأساطير الايرانية»، اكاه، طهران، ١٣٧٨.

❋ بي ناس، جان، «التاريج الشامل للاديان»، «ترجمة علي اصغر حكمت، اصدارت الثورة الاسلامية، الطبعة الرابعة، طهران، ١٣٧٠.

❋ توفيقي، حسين، «التعرف على الاديان الكبرى»، مؤسسة دراسات وصياغة كتب العلوم الانسانية للجامعات، طهران، ١٣٧٩.

❋ «التوراة»، سفر التكوين، الفصلان ٧ و ٩.

❁ جمع من الكتاب، «تفسير نمونه (التفسير النموذجي)»،، ج ۱۶.
❁ جوادي املي، عبد الله، «تفسير تسنيم»، ج ۵.
❁ جوادي املي، عبدالله، «المرأة في مرآة الجلال والجمال»، «الاسراء، قم.
❁ حافظ، شمس الدين محمد، «ديوان حافظ الشيرازي»
❁ الحر العاملي، الشيخ محمد بن حسن، «وسائل الشيعة»، ج ۱۳.
❁ الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى، «تاج العروس من جواهر القاموس»، دار الفكر للنشر، الطبعة الاولى، بيروت، ۱۴۱۴، ج ۹.
❁ الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى، «مجمع البحرين»، ج ۴.
❁ خورشيديان، اردشير، «الرد على الاسئلة الدينية للزرادشتيين»، فروهر للنشر، الطبعة الثانية، طهران، ۱۳۸۷.
❁ دادكي، فرنبغ، «بندهش»، ترجمة مهرداد بهار، توس للنشر، طهران، موسوعة ويكيبيديا الحرة.
❁ «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، تحت اشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران، ۱۳۸۱، ج ۱۱.
❁ «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، تحت اشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران. ۱۳۸۱، ج ۱۱، نقلا عن الاصطخري، ابراهيم، «مسالك الممالك»
❁ «دائرة المعارف الاسلامية الكبرى»، تحت اشراف كاظم موسوي بجنوردي، طهران، ۱۳۸۱، ج ۱۱، نقلا عن الحموي، ياقوت، «معجم البلدان»، ج ۱.
❁ دماوندي، مجتبى، «السحر في ايران القديم والديانة الزرادشتية»، مجلة الدراسات الايرانية، مركز بحوث الثقافة واللغات الايرانية، السنة الخامسة، العدد العاشر، ۱۳۸۵، (جامعة الشهيد باهنر بكرمان).
❁ دهخدا، علي اكبر، «قاموس دهخدا» (للغة الفارسية).
❁ ديورانت، ويل، «قصة الحضارة»، اصدارت الثورة الاسلامية، طهران،

.١٣٧٢

❋ راغب اصفهاني، حسين بن محمد، «المفردات»

❋ رجبي، محمود، «علم الانسان»

❋ رجبي، محمد حسن، مقالة «نحن وكتابة التاريخ الجديد»، مجلة سورة الشهرية، العدد ٤٨-٤٩، بهمن واسفند، ١٣٨٩.

❋ الزمخشري، محمود بن عمر، «تفسير الكشاف»، ج ١.

❋ موقع تدبر الالكتروني (مؤسسة العلوم والمعارف الاسلامية).

❋ سليغمن، «تاريخ السحر»، ترجمة وبحث الدكتور ايرج كلسرخي، علم للنشر، طهران، ١٣٧٧، ج ١.

❋ ش. دولاندلن، «التاريخ العالمي»، ترجمة أحمد بهمنش، اصدارات جامعة طهران، طهران، ١٣٧٦، ج ١.

❋ الشرتوني، سعيد، «أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد»، ج ١.

❋ شفيعي سروستاني، إسماعيل، «بخت التراب»، اصدارت موعود العصر(عج)، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٨٥.

الشنقيطي، محمد حبيب الله، «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم»، دار إحياء الكتب العربية، ج ٢.

❋ الشيخ الحر العاملي، «الجواهر السنية في الأحاديث القدسية»، (كليات الحديث القدسي)، دهقان للنشر، الطبعة الثالثة، طهران، ١٣٨٠.

❋ الشيخ الصدوق، «علل الشرائع»، مكتبة داوري، الطبعة الاولى، قم، ١٣٥٤، ج ١.

❋ الصدر، سيد محمد باقر، «خلافة الانسان وشهادة الأنبياء»، جهاد النبأ، طهران، ١٣٩٩.

❋ طباطبائي، محمد حسين، «تفسير الميزان»، مكتب النشر الاسلامي، قم، ج ١.

* طباطبائي، محمد حسين، «تفسير الميزان»، مؤسسة اسماعيليان الصحفية، ١٣٩٤، ج ١١.

* الطبرسي، حسن بن فضل، «مكارم الاخلاق»، ترجمة ميرباقري، فراهاني، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٦٥، ج ١.

* الطبرسي، فضل بن حسن، «مجمع البيان في تفسير القرآن»، فراهاني، ١٣٥٠، ج ١٦.

* عاشوري، زهراء، «أصحاب السبت»، رسالة جامعة، قم، مرداد ١٣٨٥، العدد ٣٢.

* العروسي الهويزي، عبدعلي بن جمعة، «تفسير نور الثقلين»، إسماعيليان، قم، ١٤١٥، ج ٤.

* عقيقي بخشايشي، عبد الرحيم، «جغرافيا تاريخ الاسلام»، مجلة الفلسفة والكلام، دروس من مجلة «مدرسة الاسلام»، تير ١٣٦٦، السنة ٢٧، العدد ٢.

* فردريش ، يوهان، «اللغات الصامتة»، ترجمة الدكتور يد الله ثمرة والدكتور بدر الزمان قريب، مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، ١٣٦٥.

* الفردوسي، أبوالقاسم، «الشاهنامة»، ج ١.

* فروغي، محمد علي، «سير الحكمة في اوروبا»، ج ٢.

* القمي، علي بن ابراهيم، «تفسير القمي»، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، قم،١٤٠٤، ج ٢.

* الكليني، محمد بن يعقوب، «الروضة من الكافي»، ترجمة رسول محلاتي، علمية اسلامية للنشر، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٦٤، ج ١.

* الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، ترجمة سيد جواد حسيني، مكتب نشر ثقافة أهل البيت، كتاب الحجة، ج ١.

* الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الاولى، قم، ١٤٢٩، ج ٤.

❋ كسروي، أحمد، «الامراء المجهولون»، حامي للنشر» الطبعة السابعة، طهران، ١٣٧٧.

❋ الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧، ج ٢ و ٤ و ٨.

❋ غلين، دانيل، «الحضارات الأولية»، ترجمة هايدة معيري، مؤسسة الدراسات والبحوث الثقافية، الطبعة الاولى، ١٣٦٣.

❋ المازندراني، محمد صالح بن أحمد، «شرح الكافي في الأصول والروضة»، المكتبة الاسلامية، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٨٣، ج ١٢.

❋ ماله، البير، «تاريخ شعوب الشرق واليونان»، ترجمة عبد الحسين هجير، مكتبة ابن سينا، طهران، ١٣٣٢، ج ١.

❋ مبلغي، عبد الله، «تاريخ الأديان والمذاهب في العالم»، ج ٢.

❋ المجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٣، ج ١٤.

❋ المجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٣٠٤، ج ١١.

❋ المجلسي، محمد باقر، «السماء والعالم، بحار الأنوار»، (ترجمة ج ٥٤)، الطبعة الاولى، طهران، ١٣٥١، ج ٧.

❋ المجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار» (ترجمة ج ٢٣-٢٧)، قسم الإمامة، اسلامية، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٦٣، ج ٤.

❋ محمدي، هاشم، مقالة «السحر والشعوذة في الشاهنامة»، مجلة الادب واللغات، العدد ١٩، تير ١٣٨٣.

❋ محمودي، مهدي، www.idsp.ir، مؤسسة افاق التنمية والامن.

❋ المسعودي، علي بن الحسين، «التنبيه والإشراف»

❋ المسعودي، علي بن الحسين، «مروج الذهب»، ج ٢.

❋ المسعودي، علي بن الحسين، «إثبات الوصية»، أنصاريان، الطبعة الثالثة، قم، ۱۳۸۴.

❋ المسعودي، علي بن الحسين، ترجمة «إثبات الوصية»، اسلامية، الطبعة الثانية، طهران، ۱۳۶۲.

❋ مصاحب، غلام حسين، «دائرة المعارف الفارسية»، شركة كتب الجيب المساهمة، ج ۱.

❋ معارف، سيد عباس، «نظرة ثانية على مبادئ الحكمة الانسية»، رايزن، طهران، ۱۳۸۰.

❋ معين، محمد، «القاموس الفارسي»، ج ۵.

❋ مكارم شيرازي، ناصر، الزملاء، «التفسير النموذجي»، طهران، دار الكتب الاسلامية، ۱۳۶۲، ج ۱.

❋ مكي، محمد طاهر كردي، «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام»، ترجمة هادي انصاري، مكتبة الحج، ۱۳۷۷.

❋ مؤسسة المعارف الاسلامية، «معجم الأحاديث، الإمام المهدي(عج)»، مسجد جمكران، قم، ۱۴۱۱، ج ۳.

❋ نبابي واضح اليعقوبي، أحمد، «تاريخ اليعقوبي»، ترجمة ابراهيم ايتي، اصدارت العلمية والثقافية، الطبعة السادسة، طهران، ۱۳۷۱، ج ۱.

❋ نصري، عبدالله، «مبادئ علم الانسان في القرآن»، المؤسسة الثقافية للعلم والفكر المعاصر، طهران، ۱۳۷۹.

❋ هاشمي، سيد حسين، «مطهري والفطرة في القرآن»، فصلية البحوث القرآنية، العدد ۱۷.

❋ يحيى، هارون، «من فرسان المعبد إلى مصر القديمة»، ترجمة فاطمة شفيعي سروستاني، مجلة موعود، العدد ۶۱، نقلا عن Mason Dergisi the journal of freemasonery.

* يوسفي، غروي، محمد هادي، «التاريخ البحثي للاسلام»، مؤسسة الإمام الخميني(رض) للتعليم والبحوث، قم، ١٣٨٢، ج ١.